ما بقي من رسائـل أبـي الفضل الميكـالي

(جمع وتوثيق ودراسة)

دكتـــور

محمد عبد العزيز عبد العزيز عبد الحميد

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية بالمنصورة

جامعة الأزهر

الايميل الجامعي

Moohammedabdelaziz.32@azhar.edu.eg

The rest of the letters of Abu al-Fadl al-Mikali

(Collect, document and study)

Doctor

Mohammed Abdul Aziz Abdul Aziz Abdul Hamid

Assistant Professor of Literature and Criticism

At the College of Arabic Language in Mansoura

Al Azhar university

University email

Moohammedabdelaziz.32@azhar.edu.eg

ملخص البحث باللغة العربية

تقوم هذه الدراسة على جمع ما بقي من رسائل أبي الفضل الميكالي(من كتَّاب العصر العباسي، توفي ٤٣٦هـ)، من مظانّها، وتوثيقها، ودراستها. فهي قيمة فنية، وزاد أدبي ثري، جمع بين المعاني البارعة، والأفكار الناصعة، والصور الفاتنة البديعة، وفيها من القيم الجمالية والفنية ما يغري الدارس باستجلائها، والتحاور مع أبعادها، والتطلع في أهدافها، والكشف عن مدى صدق الكاتب في تجربته، لذا كانت هذه الدراسة، وفيها تحدثت عن الميكالي ومكانته الأدبية، وقيمة رسائله. ثم عالجت موضوعات هذه الرسائل وأغراضها، ثم وقفت مع البناء الفني لها من حيث البدء، والانتقال، والختام. وتناولت أبرز الظواهر الأسلوبية والفنية التي استعان بها الكاتب في التعبير عن تجربته، وتشكيل صوره. وأخيرا جمعت نصوص رسائل الميكالي موثقة من مظانَّها.

الكلمات المفتاحية: أبو الفضل الميكالي، الرسائل، جمع وتوثيق، النثر الفني، العصر العباسي.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

This study is based on the collection, documentation, and study of the remaining letters of Abu al-Fadl al-Mikali (from the Abbasid era writers, Died. 436 AH). It is an artistic value, and a rich literary increase, combining brilliant meanings, bright ideas, and beautiful, glamorous images, and in it the aesthetic and artistic values that tempt the student to clarify them, dialogue with their dimensions, look at their goals, and reveal the extent of the writer's sincerity in his experience, so this study was In it, I talked about Michali, his literary standing, and the value of his letters. Then I dealt with the topics and purposes of these letters, then stood with the technical construction of them in terms of starting, moving, and closing. It dealt with the most prominent stylistic and artistic phenomena that the writer used to express his experience and form his images. Finally, the texts of Michali's letters were collected documented.

Key words: Abu al-Fadl al-Mikali, letters, collection and documentation, artistic prose, the Abbasid era.

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فرسائل أبي الفضل الميكالي قيمة فنية، وزاد أدبي ثري، جمع بين المعاني البارعة، والأفكار الناصعة، والصور البديعة الفاتنة، وفيها من القيم الجمالية والفنية ما يغري الدارس باستجلائها، والتحاور مع أبعادها، والتطلع في أهدافها، والكشف عن مدى صدق الكاتب في تجربته، لذا جاءت هذه الدراسة.

وقد عدت عوادي الدهر على "ديوان رسائله"، فضاع فيما ضاع من تراثنا، ولم يبق منه إلا "مختارات" من رسائله، تناثرت في بطون الكتب، أورد منها قدرا أبو حفص بن علي المطَّوِّعي(توفي نحو ٤٤٠هـ) في كتابه "دَرْج الغُرَر ودُرْج الدُّرَر"، وكان المطَّوِّعي وعدَ في كتابه هذا بأنه سيجمع جُمَل رسائل الميكالي، ويجعل لها كتابا برأسه(١)؛ وقد نقل منه الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (توفي٤١٣هـ) في كتابه "زَهر الآداب وثَمر الألباب". كما نقل منه الشيزري، أبو الغنائم مسلم بن محمود (توفي بعد سنة ٦٢٢هـ) في كتابه "جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام" عن أبي سهيل المعقلي الطوسي(٢)؛ فصلا "في ذكر أبي الفضل .. الميكالي وإيراد محاسن من نظمه ونثره".

ثم نشرت دار الكتب والوثائق القومية – مؤخرا ٢٠٢٠م– في مركز تحقيق التراث كتاب "مخزون البلاغة" (المخزون، والدر المنظوم، واللفظ المعدوم) لأبي الفضل الميكالي، (وهو فصوص الفصول المستخرجة من رسائله) بتحقيق: أ.د. عبد الرازق حويزي. وقد نص في مقدمته لتحقيق هذا الكتاب على "أن وجود مادة نثرية غزيرة أخرى للميكالي في بعض مصادر التراث العربي وضعتني في حيرة أمام الموقف من استدراك هذه المادة، فبعض المصنفين يصرّح بأنه ينقل عن "مخزون البلاغة"، وبعضهم يورد المادة النثرية دون تصريح"، ومن ثم كان قراره "لذا رأيت طرح ما لم ينص على أنه مقتبس من صلب هذا الكتاب"(٣).

وقد كنت شغفت منذ زمن بجمع رسائل الميكالي من مظانها، والقيام على توثيقها ودراستها، فلما طالعت كتاب "مخزون البلاغة" رأيت أن الأمر يقتضي طرح ما ورد في

---

(١) ينظر: دَرْج الغُرر ودُرْج الدرر: عمر بن علي المطوعي، تحقيق: د. جليل العطية، ص٨١، (فقرة ٩٦)، عالم الكتب، بيروت١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

(٢) ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر في ضمن (جماعة من أهل طوس). ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: د. مفيد قميحة ٤٠٥/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٣) مخزون البلاغة ص٢٤.

المخزون، والاكتفاء بما لم يرد فيه، بحيث يكون عملي تتمة واستدراكا على ما ورد في "مخزون البلاغة"، وهذا يقتضي أيضا– والمخزون إنما هو فصوص الفصول المستخرجة من رسائله– أن أورد الرسالة التامة التي ورد في المخزون شذرة منها، وأن أستعين ببعض الرسائل الواردة فيه في الدراسة حتى تكتمل الصورة، وتعم الفائدة، وهذا عمل لا أعلم أحدا نهض به، أو سعى إليه، مع وفرة رسائل الميكالي، وقيمتها الأدبية، وجودتها الفنية، لذا استعنت بالله– تعالى– لأجلو صفحة من صفحات أدبنا في العصر العباسي لكاتب من كتابه، مشهود له بالبراعة، والتمكن من الصناعة، ومن أرباب البيان، المشار إليهم بالبنان، فكانت هذه الدراسة التي تعنى بجمع الباقي من رسائله من مظانّها، وتوثيقها، ودراستها.

وقد جاءت– بعد هذا التقديم– في ثلاثة فصول، وتمهيد، وخاتمة. تناولت في التمهيد: الميكالي ومكانته الأدبية، وقيمة رسائله الفنية. وفي الفصل الأول:(المضمون النثري) عالجت مضمون هذه الرسائل وأغراضها، وفي الفصل الثاني(البناء الفني) وقفت مع البدء، والانتقال، والختام. وجاء الفصل الثالث(ظواهر فنية)؛ تناولت فيه أبرز الظواهر الأسلوبية والفنية التي استعان بها الكاتب في التعبير عن تجربته، وتشكيل صوره. ثم كانت الخاتمة؛ وفيها أشرت إلى ما تضمنته الدراسة من حقائق، وانتهت إليه من نتائج. وأخيرا جمعت نصوص رسائل الميكالي تحت عنوان(ما بقي من رسائل الميكالي جمع وتوثيق)، ثم ختمت الدراسة بفهرس المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

تمهيد: أولا- الميكالي ومكانته الأدبية.

الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن على بن إسماعيل الميكالي، من آل ميكال من أهل نيسابور، وهي أسرة عريقة في خراسان، سليلة مجد وملك وسلطان، جمعت بين الفضل والحلم، والأدب والعلم، مدحهم البحتري، وابن دريد، والخوارزمي، وبديع الزمان، وغيرهم من أهل زمانهم(١).

كان صاحب علم وأدب، وخُلق ونسب، حافظا للأشعار والملح، محبّرا للدواوين والصحف، من أعلام الكتابة في العصر العباسي، إمام في الصنعة غير مدافع، وفارس من فرسانها بلا منازع، وله مصنفات كثيرة في العلم والأدب، تشهد له بأعلى المنازل والرتب(٢).

أَحبَّ الأدب والأدباء؛ وجمع في حضرته بنيسابور ألمع أدباء عصره، وكان لا يدخر وسعا في رفدهم، وتوفير العيش الكريم لهم، ووضع خزانته العامرة بين أيديهم، ينهلون من نفائسها، وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى تعضيد الحركة الأدبية وازدهارها أواخر القرن الرابع وفي الربع الأول من القرن الخامس(٣). وقد تأثر بعلمه وأدبه طائفة من الأدباء والكتاب(٤). وظل على هذه الحال من العلم والأدب حتى وفاته(٤٣٦هـ).

احتل الميكالي مكانة أدبية عالية بين معاصريه من الأدباء، في عصر كان يزخر بأعلام الكتاب والشعراء والنقاد، شهدوا له بعلو كعبه في ميدان الأدب، ورفعته في رياض الفضل والنسب، وأثنوا عليه ثناء بلغ حد الإسراف.

يقول الثعالبي: "والأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد يزيد على الأسلاف والأخلاف من آل ميكال زيادة الشمس على البدر، ومكانه منهم: الواسطة من العقد، لأنه يشاركهم في جميع محاسنهم، وفضائلهم، ومناقبهم وخصائصهم، ويتفرد عنهم بمزية الأدب الذي هو ابن بجدته، وأبو عذرته، وأخو جملته"(٥).

ويقول الباخرزي: "لو قيل لي من أمير الفضل؟ لقلت: الأمير أبو الفضل... وأمّا أدبه فقد كان على ذبولِ عودهِ غضًّا، يكاد يغضّ من أزهار الربيع غضًّا. وأما شعره فقد أعلى أهل

---

(١) ينظر في ترجمته والإشادة بفضله وأدبه: الأنساب للسمعاني، تحقيق:عبد الله البارودي ٤٣٣/٥، دار الجنان، بيروت،الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م. يتيمة الدهر: ٤٠٧/٤. دمية القصر وعصرة أهل العصر: علي بن الحسن الباخرزي، تحقيق: محمد ألتونجي ٧١٥/٢، ٧١٦ دار الجيل، بيروت، الأولى١٤٤١هـ-١٩٩٣م. فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس ٤٢٨/٢، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م، ومراجع أخرى.

(٢) منها: ديوان شعر، ذكره السمعاني في الأنساب ٤٣٣/٥، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ٤٢٨/٢. مخزون البلاغة: يتيمة الدهر ٤١٠/٤، ودمية القصر ٧١٦/٢. ديوان رسائله، وملح الخواطر ومنح الجواهر، والمنتخل: فوات الوفيات ٤٢٨/٢، وغيرها. وينظر ثبت بمصنفاته مخزون البلاغة، ص١٥-١٧.

(٣) ينظر: دَرْج الغُرر ودُرْج الدرر: ص١٤، ٣٣.

(٤) ينظر: مخزون البلاغة ص١٢- ١٥، يتيمة الدهر ٥٠٠/٤، تتمة يتيمة الدهر ١٩٤/٥. الأنساب للسمعاني ٤٣٤/٥.

(٥) يتيمة الدهر: ٤٠٧/٤ .

الصّناعة بشعار الانتماء إليه، ورفرفت الشّعراء بأجنحة الاستفادة عليه. وأما رسائله فرسْل يدرّ، وسلْك لا يخونه الدّر"(١).

ويقول المطوعي: "وإن أردت البلاغة فهو مالك عِنانها، وفارس ميدانها، وناظم درّها ومرجانها، وصائغ لُجينها وعِقيانها"(٢). وغير هؤلاء كثير ممن يشهدون للميكالي بعلو منزلته، وارتفاع مكانته في رياض الفضل والأدب، ولهؤلاء وغيرهم شعر كثير في فضل أبي الفضل وأدبه(٣).

ثانيا- رسائله

ترك أبو الفضل الميكالي تراثا نثريا خصبا يطاول به كبار الكتاب في عصره، ورسائله المبثوثة في كتب الأدب والتراجم تؤكد ذلك(٤). وهي تكشف عن شخصيته من جوانبها الثقافية والأدبية، وعلاقته بإخوانه من الكتاب والأدباء، وبعضها يفصح عن طبائعه وأخلاقه.

وهي رسائل ثرة غنية، تنوعت أغراضها فجاءت في وصف الكتب المرسلة إليه، والشوق والحنين، والشكر والثناء، والتهنئة والعزاء، والذم والهجاء، والشكوى، والعتاب، وغيرها من الموضوعات التي تكشف عن ثراء محصوله النثري وتنوعه، فكانت تراثا أدبيا زاخرا، استحق أن يجمع في ديوان يرجع إليه الدارس متى أراد.

يقول الثعالبي واصفا كتاباته: "وله ميراث الترسل بأجمعه؛ إذ قد انتهت إليه اليوم بلاغة البلغاء، فما تُظلُّ الخضراء، ولا تُقِلُّ الغبراء في زمننا هذا أجرى منه في ميدانها، وأحسن تصريفا لعِنانِها(٥). ويقول أيضا: "وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة، وأتم بلاغة، وكأنما أوحى بالتوفيق والتسديد إلى قلبه، وحبست الفقر والغرر بين طبعه وفكره، فهو من ابن العميد عوض، ومن الصاحب خلف، ومن الصابي بدل... وهؤلاء أمراء الأدباء"(٦).

ويقول الباخرزي: "وأما رسائله فرسْل يدرّ، وسلْك لا يخونه الدّر، ومن تأمّل منثوره في المخزون على (كذا)(٧). أنّه فرحة المحزون، وشفاء القلب السّقيم، وعُقْلةُ المستوفزِ، وأنسُ المقيم"(٨).

إن أقوال القدماء في الميكالي وإشادتهم بأدبه وفضله تؤكد مكانته الأدبية، وتشهد له بالبراعة في ميدان اليراعة، والصفحات التالية تكشف عن ذلك.

---

(١) دمية القصر: ٢/٧١٥، ٧١٦ .
(٢) درج الغرر: ص ٣٤.
(٣) ينظر على سبيل المثال: يتيمة الدهر: ٤/٤٠٨ وما بعدها. درج الغرر: ص٣٣ ،٥٣ وما بعدها.
(٤) من أهم هذه الكتب: درج الغرر للمطوعي، يتيمة الدهر للثعالبي، زهر الآداب للحصري القيرواني، ومخزون البلاغة للميكالي نفسه.
(٥) فقه اللغة وأسرار العربية: الثعالبي، تحقيق: ياسين الأيوبي، ص٣١، المكتبة العصرية، بيروت، الثانية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
(٦) يتيمة الدهر: ٤/٤٠٨ .
(٧) وصوابها (علم) ينظر: دمية القصر ، تحقيق: سامي مكي العاني ٢/٩٠، مكتبة دار العروبة، الكويت، الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .
(٨) دمية القصر: ٢/٧١٥، ٧١٦ .

الفصل الأول: المضمون النثري

إن رسائل الميكالي تحمل من المعاني البارعة، والأفكار الناصعة، والصور الفاتنة، ما يشهد له بالبراعة، والتمكن من الصناعة، وقد تنوعت أغراضها وموضوعاتها على النحو التالي:

أولا- وصف الكتب والرسائل الواردة إليه.

صلة الميكالي بفضلاء عصره، وأهل العلم والأدب صلة قوية(١)،عضَّد هذه الصلة ما اتسم به من فضل وعلم، فكثرت رسائله التي يصف فيها ما يرد إليه منهم من كتب، وهي تكشف عن براعته، وعلو كعبه في هذا المجال، وتتسم بصدق العاطفة وقوتها، وحرارة الأشواق وشدتها.

وقد افتن الميكالي في وصف هذا النوع من رسائله، فحفلت بالمعاني الرائعة، والصور البليغة الفاتنة، وإن طغى عليها التكلف والمبالغة أحيانا، ومن نماذج هذه الرسائل قوله مجيبا بعض إخوانه: "وقفتُ على ما أتحفني به الشيخ: من نَظمِه الرائق البديع، وخَطه المُزْري بزهر الربيع، مُوشَّحًا بغُرَرِ ألفاظٍ، لو أعِيرتْ حِلْيَتُها لعطَّلَت قلائد النحور، وأبكارِ معانٍ لو قُسِّمت حَلاَوتها لأعْذَبَتْ مَوَارِدَ البحور، فسرَحْتُ طَرْفي في رياضٍ جادتْها سحائبُ العلوم والْحِكم، وهبَّ عليها نسيمُ الفضل والكرَم، وابتسمَتْ عنها ثغورُ المعالي والهِمَم، فلم أدرِ وقد حيرَتْني أصنافُها، وبهرتني نعوتُها وأوصافها، حتى كستْني اهتزازا وإعجابًا، وأنشأتْ بيني وبين التماسكِ سِتْرا وحجابًا، ولم أدْرِ أدهَتْني بها نَشْوَة راح، أم ازْدهَتْني بها نخوة ارتياح، وانتظم عندي منها عِقد ثَناء وقَريض، أم قَرَع سَمْعِي منها غناء مَعْبَدٍ وغَريض، وكيفما كان فقد حَوَى رتبة الإعجاز والإبداع، وأصبح نزهة القلوب والأسماع، فما من جَارِحةٍ إلا وهي توَدُّ لو كانت أذنًا تلتَقط درَره وجواهره، أو عينًا تَجْتَلي مطالَعه ومناظره، أو لسانًا يَدْرُس محاسنَه ومفاخره"(٢).

يرى الكاتب أن ما أتحفه به صاحبه من أبدع الكتب، وأعلاها بلاغة، بما حواه من بدائع وطُرَف، تحَيِّر الطَّرْف، وتُعْجِز الوَصْفَ، ففيه النظم الرائق، والنثر الفائق، والصياغة التعبيرية تؤكد روعة هذا الرسالة، ومدى إعجاب الكاتب بها، فهي (رياض جادتْها سحائبُ العلوم والْحِكم، وهبَّ عليها نسيمُ الفضل والكرَم، وابتسمَتْ عنها ثغورُ المعالي والهِمَم)، قد ائتلفت ألفاظها ومعانيها، فجاءت محكمة الرصف، بديعة الوصف، حتى بلغت الغاية في الإحسان والإبداع.

---

(١) ينظر: مخزون البلاغة: ص١٢-١٥، ودرج الغرر: ص ١٤، وفقه اللغة: ص٣١. سفينة الصالحي، تحقيق: محمد دبوس ١٤٧/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٥م

(٢) دَرْج الغُرر: ص٦١. زهر الآداب: ١٦٢/١، مخزون البلاغة: ص١٢٧، ١٢٨.

كما تؤكد المفردة على أثرها في نفس الكاتب:(حيرتني، بهرتني، كستني، أنشأت، دهتني، ازدهتني)، فقد بهرته نعوتها وأوصافها، واهتزت نفسه لها إعجابا بها، وفي هذا ما يكشف عن بلاغتها، وقيمتها، ويؤكد فضل كاتبها ومكانته في نفسه.

ومن نماذج ذلك أيضا قوله: "وصل كتابُ مولاي وسيدي، أبْدَع الكتب هَوَاديَ وأعجازا، وأبرعها بلاغةً وإعجازا، فحسِبْت ألفاظَه دَرَّ السّحاب، أو أصفى قطرًا ودِيمة، ومعانيه دُرّ السِّخَاب، بل أوفى قدْرًا وقيمة. وتأمّلتُ الأبياتَ فوجدتها فائقةَ النظْمِ والرَّصْفِ، عَبِقَةَ النسيم والعَرف، فائزةً بقدَاح الْحسْن والظَّرْف، مالكةً لِزمام القَلْبِ والطرْف؛ ولا غَرْوَ أن يصدر مثلُها عن ذلك الخاطر، وهو هَدَف الفِقَر والنوادر، وصَدَف الدرر والجواهر، واللّه يُمَتعُه بما منحه من هذه الغُرَر والأوضاح، كما أطلق فيه ألسنة الثناء والامتداح"(١) .

يرى الميكالي هذا الكتاب غاية البلاغة، ونهاية الفصاحة، قد تناسبَ صدرُه وعجزه، فجاء آية في النظم والاتساق، والبهاء والإشراق، ببيانٍ شافٍ، ولفظٍ مصيبٍ، يجتنى منه الدر، ويفوح منه العطر، وينشرح له الصدر، فقد أفاد وأجاد، وحقق المراد.

وقد انعكس إعجاب الكاتب على التعبير والتفكير والتصوير: (أبْدَع الكتب، أبرعها بلاغةً، دَرَّ السحاب، أصفى، دُرّ السخاب، أوفى قدْرا وقيمة، فائقةَ النظْمِ والرَّصْفِ، عَبِقَة، فائزة، مالكة) وهي صياغة تكشف عن قيمة هذه الرسالة وقدرها وبلاغتها، إذ نزعت- بوصف الكاتب لها- نحو الكمال والجلال والجمال.

كما يؤكد أيضا على فضل صاحبها وقدره، فهو منبع الغرر، ومصدر الجواهر والدرر، فلا غرو أن تصدر عن ذلك الخاطر، هذه الفِقَر وتلك النوادر.

إن المتأمل في هذا النوع من رسائل الميكالي(٢) يجد عنايته بها، وافتنانه فيها، فجاء قلمه سيالا، ينثر الدر، ويفوح بالعطر، حتى قال زكي مبارك: "فكان قلمه من أفصح الأقلام في وصف الكتب التي يتهاداها الأصدقاء"(٣)، وإن كانت المبالغة تسيطر عليه، وهي مبالغة مقبولة، تدخل في باب المجاملة والثناء. وقد برزت المبالغة في أساليب الكتاب في القرن الرابع الهجري وما تلاه، "حداهم إلى ذلك نزوعهم إلى تعميق معانيهم، وإيضاحها والتجديد في أجناسها"(٤).

---

(١) زَهر الآداب: ١٦٣/١. درج الغرر: ص٦٢. سفينة الصالحي١٤٧/٢. السخاب: القلادة تتخذ من قَرَنفُل وسكٍّ ومَحْلَبٍ ليس فيها من اللؤلؤ والجواهر شيء. لسان العرب:(سخب).

(٢) ينظر نماذج أخرى: مخزون البلاغة ص ٤٤-٧٧، تاريخ العتبي لأبي نصر العتبي، تحقيق: د. إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري، ص ٢٦٤، دار الطليعة، بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، يتيمة الدهر:٤١١/٤ ، ٤١٢. دَرْج الغُرر: ص٦٤، ٦٥. زهر الآداب: ١٦٦/١.

(٣) النثر الفني في القرن الرابع الهجري: د. زكي مبارك ٣٩٣/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠م.

(٤) الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، د.غانم جواد رضا، ص٤٣١، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى٢٠٠١م.

ثانيا- أحاديث الود والصداقة والشوق والحنين.

قسم الله للميكالي من آلات الفضل، وأدوات الخير، وخصال المجد، ما يباري الشمس ظهورا، ويُجاري القطْر وُفورا، وكان يهوي إليه الأدباء والأصدقاء، وكثيرا ما تجمعه بمن يحب لقاءات عدة(١)، فيذكر ذلك العهد، لذا كثرت رسائل الشوق والحنين، وأحاديث الود والصداقة في رسائله.

ومن نماذج الود والصداقة قوله إلى بعض إخوانه: "ما ابتدأتُ بمخاطبة سيدي حتى سرَتِ المسرّةُ في نفسي، وقوِيَتْ أركانُ بَهْجَتي وأُنسِي، وحتى أقبَلَتْ وجوهُ الميامن تتهلَّل إليّ، وبدَرُ المساعِد تتثالُ عليّ، وكيف لا يملكني الجذَل والفرح، وكيف لا يهزُني النشاطُ والمَرَح، وقد زففْتُ وُدِّي إلى كُفْء كريم، وعرضته لحظٍّ من الجمال جسيم، وأَرجو أَن يرِدَ منه على حُسْنِ قبولٍ وإقبال، ويَحْظَى من ارتياحه له ببُرْدِ اشْتِمَال، ويُصادف من اهتزازِهِ وإنشائه، وعمارته وإنمائه، وتحصين أطرافه من شوائب الخلل، وشوائن الوَهن والميل، وما تستحكم به مَرَائر الوِصَال، وتؤمن على قُوَاها عَوَادِي الانتقاض والانحلال"(٢).

الكاتب يبتدئ صاحبه بمودته، ويعرض عليه صداقته، ونفسه ترى في صداقة هذا الكفء الكريم ما يملؤها بهجة وأُنْسا، وجذلا وفرحًا، ونشاطًا ومرحًا، وهو يرجو أن يتلقى صاحبه هذا العرضَ منه بحسن قبول وإقبال، وأن تستحكم عرى المودة بينهما فلا تتعرض أبدا لشيء من الانتقاض والانحلال.

والمفردة تؤكد على ذلك:(سرَتِ المسرّةُ في نفسي، قوِيَتْ أركانُ بَهْجَتي وأُنسِي، وجوهُ الميامن تتهلَّل، بدَرُ المساعِد تتثالُ عليّ، الجذَل والفرح، النشاطُ والمَرَح)، وهي تكشف عن قلب منشرح، ونفس نشطة تشملها النشوة، وتظللها البهجة، فهو يتمنى من صاحبه قبول وده ومحبته، والاهتزاز إلى وصاله ومودته، والارتياح إلى لقائه وعشرته.

كما تكشف لنا الألفاظ عن حرصه على هذه الصحبة، واستحكام عرى المودة: (زففت وُدي، عرضته، أرجو القبول والإقبال، ارتياحه، يصادف، تحصين) إنه حريص على بقاء هذه الصحبة، متمسك ببقاء العهد ودوام الود.

ومن رسائل الشوق والحنين قوله: "ولو مَلَكْتُ عِنان اختياري، وأسعفني ببعض ما أقترحه القَدَرُ الجاري، لما غِبْتُ عن حضرته– آنسها الله – ساعةً من دهري، كما لا أعد ساعاتِ بُعْدِي عنها وإخلائي لبابها من أيام عمري؛ ولكنت أبدا ماثِلا بها في زمرة الخدم والعبيد، جامعا بها بين حاشيتي العزّ المديد، والشرف العتيد؛ لا سيما في هذا الوقت وقد أشرقت البلاد بنور طلعته التي هي في ظلمة الدَهر صباح، وعزّ مطالعته التي فيها لصدور ذوي الشَّنإ شجا ولزَنْدِ الآمال اقتداح، ومعاودة ظلِهِ التي أضْحَتِ الشمسُ من حساده، والزمان من عدد ساكنيه

(١) ينظر: فقه اللغة للثعالبي ص٣١، ودرج الغرر ص١٤ ،٣٣، ومخزون البلاغة ص١٠–١٥.
(٢) زهر الآداب: ١٢٣/٣. دَرْج الغُرر: ص ٦٧. تتثال: تتوالى.

وعتاده، إلاَ أن الحريص– كما علمه مولانا– مُخلى عن أعذب موارده، وممنوع بالعوائق عن أكرم مطالعه ومقاصده"(١).

يعالج الكاتب في هذه الرسالة شدة الشوق إلى لقاء أبيه، وفرط الحنين إلى رؤياه، فقلبه بودِّه مَغْمُور، لا يشفي غليل شوقه وحنينه إليه إلا لقاؤه، وهو يعتذر بأن القدر هو الذي يخليه عن أعذب موارده، ويعوقه ويمنعه عن أكرم مطالعه ومقاصده، ولو أسعفه القدر بمراده لما غاب عن حضرة أبيه ساعة من دهره، فالعيش في ظل مودته طلق غزير، والدهر بصحبته مشرق منير. والتعبير يكشف عن اشتياقه لأبيه وتمنيه لقاءه:(لو ملكت، لو أسعفني، لما غبت، ساعة، ماثلا، جامعا).

إن شوق الكاتب يفيح أريجه، وتهب نسماته، ويطل بظلاله في أجزاء الرسالة، إنه مشغول بلقائه، لا تَخْلو من التفكر فيه خواطره، ويتمنى أن يقصر أمد الفراق، ويلتقي بأبيه، فنور طلعته صباح ينير ظلمة دهره، ومعاودة ظله غاية الأماني، لكنه ممنوع بالعوائق عن لقياه، وإن كان قلبه مشغولا به لا ينساه.

إن ما تمتع به أبو الفضل الميكالي من دماثة خلق، وسَعة كرم، وحسن معاملة، وخفض جناح، وصفحٍ جميلٍ، جعله مقصد كثير من الفضلاء والعلماء والأدباء، فانقطع بعضهم لخدمته، بينما لازم بعضهم مجلسه للتزود من فضله وعلمه، على حين أهدى بعضُهم إليه بعضَ مؤلفاته(٢)، وكانت تجمعه بهم لقاءات عدة، وبينه وبينهم صدقات وصحبة، لذا كثرت رسائل الشوق والحنين، وأحاديث الود والصداقة في رسائله(٣).

ثالثا- الثناء والشكر.

دعا الله– سبحانه وتعالى– عباده إلى الشكر، وجعل شكر النعمة سببا للمزيد، وسمى تركه كفرا، وأوعد عليه بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(٤). وبين النبي الكريم– صلى الله عليه وسلم– أنه:(من لم يشكر الناس لم يشكر الله)(٥). والنفوس مجبولة على حب الثناء، والميل إلى من يشكرها والتودد إليه.

---

(١) زهر الآداب: ٢٣٧/٢. دَرْج الغُرر: ص٦٦، ٦٧. الشنأ: البغض. الشجا: ما اعترض ونشب في الحلق من عظم ونحوه.

(٢) ينظر: مخزون البلاغة ص١٣ .

(٣) ينظر نماذج أخرى: مخزون البلاغة ص٧٩– ١٢٧، ١٣٨. دَرْج الغُرر: ص٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٤. زَهر الآداب : ٢٣٧/٢، ٢٣٨، ١٣٤/٤، ١٣٥.

(٤) سورة إبراهيم: الآية(٧).

(٥) سنن الترمذي(الجامع الصحيح):(محمد بن عيسى بن سوْرة): تحقيق: إبراهيم عطوة عوض،(باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك) ٣٣٩/٤، حديث رقم (١٩٥٥) طبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الثانية ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.

وقد برزت رسائل الثناء والشكر في رسائل الميكالي بشكل واضح، ومن نماذجها قوله: "ولو وفَّيتُ هذه النعمة الجسيمة حقَّها لمشيتُ إلى حضرته– آنسها الله – حَبْوًا على القَدم، ولآثرْتُ فيه خدمة اللسان على خِدْمة القلم، ولما رضيتُ له بباعي القصير، وعبارتي الموسومة بالعجز والتقصير، حتى أَستعير فيه ألسِنةً تحملُ شكرًا وثناءً، وتوسِعُ نَشْرًا ودعاءً، ثم لا أكَونُ بلغتُ مبلغًا كافيًا، ولا أبليتُ عُذْرًا شافيًا؛ إلا أنّ عدم الإذن ثَبَّطني عن مقصودِ الغرض، وعاقَني عن الواجب المفترض؛ فأقمتُ عاكفًا على دعاءٍ أرفَعُهُ إلى الله عزَ وجل مبتَهلا، وأواصله مجتهدًا في ليلي ونهاري محتفلا"(١).

إن الصياغة التعبيرية تؤكد على تقدير النعمة، والاعتراف بفضل المنعم واستحقاقه للثناء والشكر، طلبا لسرور خاطره، والتأكيد على مودته:(الجسيمة، لمشيت، حبوا، ولآثرْت، خدمة، لما رضيت، أستعير، ألسنة تحمل، وتوسِع)، والترادف بين:(شكرا وثناء)،(نشرا ودعاء) يكشف عن عنايته بصاحبه، وعلو همته لشكر نعمته.

والكاتب يعترف بعجزه عن شكره، وتقديره حق قدره:(لا أكَونُ بلغتُ، ولا أبليت)، وهو يتضرع إلى الله سبحانه، مبتهلا بالدعاء والرجاء في ليله ونهاره عسى أن يوفيه شكر نعمته: (فأقمتُ، عاكفا، دعاء أرفَعُهُ، مبتَهلا، أواصله، مجتهدا، محتفلا) وهي صياغة تؤكد عنايته لهذا الأمر، وتكشف عن تقديره لصاحبه وما أنعم به عليه، والطباق بين (ليلي/نهاري) يكشف عن مواصلة الشكر، ودوامه، بما يؤكد تقديره لهذه النعمة وصاحبها.

ومن نماذج الشكر أيضا قوله: "فأمّا الشكرُ الذي أعارني رداءَه، وطوقني سناءَه؛ فهيهات. ليس ينتسبُ إلا إلى عادات فَضْله وإفضاله، ولا يسيرُ إلا تحت رايات عُرفه ونَوَاله، إن هو إلا ثوبٌ لا يحلَّى إلا بذكره طِرَازه، واسمٌ له حقيقته ولغيره مجازه، ولو أنه حين ملك رقِّي بأياديه، وأعجزَ وُسْعِي عن حقوق مكارِمه ومساعيه، خلَّى لي مذهبَ الشكر ومَيدَانه، ولم يجاذبني زِمامَه وعنَانه، لتعلَّقْت في قضاء بعض موجباته بعُروَة طَمَع، ونهضتُ به في وَهن وظَلَع، ولكنه يَأبى إلا أن يستولي على أَمدِ الفضائل، ويتسنّم ذُرَا الغوارب منها والكواهل، فلا يَدَع غايَةً في المجد إلا يسبق إليها فارطا، ويُخلِّفُ مَن سِوَاهُ عنها حسيرا ساقطا، لتكون المعالي بأسرها مجموعةً في ملكِه، منظومةً في سِلكه، خالصةً له من دعوى القسيم وشِرْكِه"(٢).

إن فضل صاحبه وإكرامه وإنعامه غني عن البيان، يكشف عن ذلك تعبير الكاتب:(فَضْله وإفضاله، عُرفه ونَوَاله، مكارمه ومساعيه) والكاتب يؤكد عجزه عن إيفاء صاحبه حقه من الشكر، وتقدير نعمه وعطاياه، قال الشاعر: (من البسيط)

---

(١) دَرْج الغُرر: ص ٧٢. زهر الآداب: ١٢٤/٣. ثبطني: أقعدني.

(٢) مخزون البلاغة: ص٢٢٢ –٢٢٤، زهر الآداب: ٢٥٨/٤. دَرْج الغُرر: ص٧٧. سفينة الصالحي ٧٣٧/٢، وهن وظلع: الظلع: أن تغمز في سيرك.

فصرتُ أمسك عن أوصافِ نعمتهِ عجـزًا وينطـقُ عـن آثارهـا حـالي(١)

وهو ذو فضل وكرم، يأبي إلا أن يستولي على الفضائل والمكارم بإحسانه وإنعامه الذي لا ينقطع، وهو سباق إلى الغايات، طموح إلى المعالي والأمجاد، يتنسم أعلى المنازل، وفي هذا ما يكشف عن قدر صاحبه، وأثر نعمته، فهو أهل الثناء والشكر والتقدير.

إن الثناء والشكر(٢) من أمتن أسباب الصلة، وأقوى وسائل المودة، وفيه دليل على لطف المعاملة، وحسن المجاملة، والتأكيد على منزلة المنعم، كشفت عن هذا كله الصياغة التي استعان بها الكاتب، وعبر عما يجول في خاطره نحو من يشكره، ويثني عليه.

رابعا- الشكوى وذم الزمان

الشكوى متنفس المرء ومرآته التي تعكس ما يشعر به من آلام، وما يحلم به من آمال، وهي الثوب الذي يلف أوجاعه، ويشف عن آلامه، والمباثَّةُ تكسر من سوْرتها، وتخفف من حِدَّتِها، والمحادثة ترياق الهمِّ، وعلاج الغمِّ. قال عمر بن عبد العزيز: "إن في المحادثة تلقيحا للعقول، وترويحا للقلب، وتسريحا للهم، وتنقيحا للأدب"(٣). وقال الشاعر: (من الرجز)

وكـل إنسان فـلا بـد لـه مـن صـاحب يحمـل مـا أثقلـه(٤)

وقال الآخر: (من الطويل)

ولا بـد مـن شـكوى إلـى ذي مـروءة يواسـيكَ، أو يـسْلِيكَ، أو يتوجّـع(٥)

وللميكالي رسائل كثيرة في الشكوى، كتب إلى أبي منصور الثعالبي: "كتابي وأنا أشكو إليك شَوْقا لو عالجه الأعرابي لما صَبَا إلى رَمْل عالِج، أو كابَده الخَليُّ لانثنَى على كَبِدٍ ذاتِ حُرَقِ ولَوَاعِج؛ وأذمُ زمانا يفرِّقُ فلا يحسن جمعًا، ويُخَرِّق فلا ينوي رَقْعًا، ويُوجِعُ القلب بتفريق شَمْلِ ذوي الْوِداد، ثم يبخلُ عليهم بما يَشْفِي الصدور والأكْبَاد؛ قاسِي القلبِ فلا يلينُ لاستعطافٍ، جائر الحُكْمِ فلا يميلُ إلى إنصافٍ... وكَلا، فما على الدهر عَتْبٌ، ولا له على أهْلِه ذَنْبٌ؛ وإنما هي أقدار تَجْري كما شاء مُجْرِيها، وتَنْفُذ كالسهام إلى مَرَاميها؛ فهي تدورُ بالمكروه والمحبوب، على الحُكم المقدور والمكتوب، لا على شهوات النفوس وإرادات القلوب"(٦).

---

(١) البيت للببغاء(عبد الواحد بن نصر المخزومي)، ديوانه، بتحقيق ودراسة: سعود محمد عبد الجابر، ص١٣٣، دار الحامد، عمان، الأولى ٢٠٠٤م. يتيمة الدهر ٣٠٤/١.

(٢) ينظر نماذج أخرى للثناء والشكر: مخزون البلاغة ص١٥١-٢٥٤. زهر الآداب: ٥٦/٢، ١٢٣/٣، ١٢٤. دَرْج الغُرر: ص ٦٧، ٦٨ . يتيمة الدهر ٤١٥/٤ .

(٣) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، ص٢٦، س الذخائر(٨٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٢م.

(٤) البيت لابن الهبارية، ديوان الصادح والباغم لابن الهبارية، شرح: عزت العطار، ص١٧، القاهرة ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.

(٥) البيت لبشار بن برد، ديوانه بشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ملحقات الديوان) ١٠٠/٤، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

(٦) زَهر الآداب: ٢٣٦/٢، ٢٣٧. دَرْج الغُرر: ص ٦٥، ٦٦، رمل عالج: موضع بالبادية به رمل، وقيل: رمال معروفة بالبادية، وقيل: ما تراكم منها ودخل بعضه بعضا. لسان العرب(علج).

الكاتب– وهو بصدد تفصيل أشواقه إلى صديقه– يذم الزمان الذي من عادته أن يشتت الشمل، ويفرق الجمع، فمن عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان، فلا عجب من طوارقه، وهجوم بوائقه، وأيُّ دهر على الأحرار لم يَجُرِ.

وقد أدت الصياغة التعبيرية دورها في تحقيق هذا المعنى، وتصوير جور الزمان: فنجد الأفعال(يفرق، يُخَرِّق، يوجع، يبخل)، واسم الفاعل:(قاسي، جائر)،وأسلوب النفي:(لا يحسن،لا ينوي،لا يشفي،لا يلين، لا يميلُ إلى إنصاف)تكشف عن جور الزمان، فسُرُورُهَ هَمٌ، وصَفوُ نعيمه كَدَرٌ وغمٌ، فما الدهر أهل للحياة الرغيدة، والآمال السعيدة: (من الطويل)

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل(١)

وقد توسل الكاتب لبسط فكرته وتأكيد جور الزمان بالتضاد بين:(يفرق/جمع)، (يُخَرِّق/رقعا)،(قاسي/يلين)،(جائر/إنصاف)، (المحبوب/ المكروه)، وهو يكشف عن حقيقة الزمان، ويؤكد نظرات الكاتب الطويلة في الحياة، وإدراكه لحقيقتها، كما يظهر دور التضاد في إيقاظ المتلقي، وترسيخ الفكرة، وبسط المعنى وإبرازه، وبث الحركة والحياة في الصورة.

ثم يعود الكاتب معترفا– بنفس مؤمنة راضية– بقدر الله – تعالى– فينسب هذا كله لله، فإنما هي أقدار تَجْري بمشيئته تعالي، فهو المسير للأمور، ويجب على المرء التسليم والرضا.

ومن نماذج شكوى الزمان أيضا قوله من رسالة في التشوق والحنين إلى بعض إخوانه: "إنما أَشكو إليك زمانًا سَلَب ضِعْفَ ما وَهب، وفَجع بأكثَرَ مما أَمْتَع، وأوحش فوق ما آنس، وعنف في نزعِ ما ألبس؛ فإنه لم يُذِقْنَا حلاوة الاجتماع، حتى جَرَّعَنا مرارةَ الفراق، ولم يمتعنا بأنس الالتقاء، حتى غادَرَنا رَهْنَ التلهُّفِ والاشتياق، والحمدُ لله تعالى على كلّ حال يُسيء ويسر، ويَحْلو ويُمِر، ولا أَيأس من رَوْح الله في إتاحة صُنْع يجعل رَبْعَه مُنَاخي، ويُقَصِّر مدّةَ البِعَاد والتراخي، فأُلاحظ الزمانَ بعين راض، ويُقْبِلُ إليّ حظّي بعد إعراض، وأستأنف بعزَّته عيشا سابغَ الذيول والأعطاف، رقيقَ المعاني والأوصاف، عَذْب الموارِدِ والمناهل، مأمونَ الآفاتِ والغوائل"(٢).

تكشف هذه الرسالة– أيضا– عن جور الزمان، فهو يمنع بعد العطاء، ويفرق بعد اللقاء، ويكدر بعد الصفاء، ويصيب الناس بصروفه ونوائبه. وقد اعتمد الكاتب على التضاد في رسم صورة الزمان:(سلب/وهب)، (فجع/أمتع)، (أوحش/آنس)، (نزع/ألبس)، (حلاوة الاجتماع/ مرارة الفراق)،(يُسيء/ يسر)،(يَحْلو/يُمر) والتضاد يؤكد تقلب الزمان، فلا دوام له على حال، وتلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

---

(١) شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي١٧٩/٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

(٢) زهر الآداب: ١٣٤/٤. دَرْج الغُرر: ٧٠، ٧١. مناخي: المناخ: موضع الإناخة، وأراد بها الإقامة. الغوائل: جمع الغائلة، وهي الدواهي أو الفساد والشر.

وقد استحسن النقاد من الكاتب "أن يشفع الشكوى بذكر الثقة بالله – سبحانه– والتسليم إليه، والرضا بأحكامه، وتوقع الفرج من عنده، وتلقي أخباره بالصبر، كما تتلقى نعمه بالشكر"(١). ويظهر ذلك واضحا في رضا الكاتب بقضاء الله – تعالى– وقدره، والصبر والتسليم لأمره: (والحمدُ لله تعالى على كلّ حال، ولا أَيأس من رَوْح الله، فأُلاحظ الزمانَ بعين راض) فهو يحسن الظن بربه، عسى أن تقبل إليه الأيام راضية، ويأتيه الحظ بعد الإعراض، فيعيش عذب الموارد والمناهل، مأمونَ الآفاتِ والغوائل(٢).

خامسا -التهنئة.

هي من الأغراض المؤكدة على معاني الأخوَّة والصداقة، والأسباب الباعثة على المودة والألفة، الكاشفة عن المشاعر والأحاسيس الطيبة. والتهنئة من ضروب الكتابة الجليلة النفيسة، لما فيها من الإفصاح بقدر النعمة، والإبانة عن موقع الموهبة، وتضاعف السرور بالعطية، وهي من الموضوعات التي تظهر فيها مقادير أفهام الكتاب، ومنازلهم من الصناعة، ومواقعهم من البلاغة(٣).

وقد تنوعت رسائل التهاني عند الميكالي بين التهنئة بقدوم، والتهنئة بمولود والتهاني عامة، ومن نماذجها قوله مهنئًا بقدوم أبيه(٤): "كتبتُ وأنا بمنزلة من ارتدَّ إليه شبابُه بعد المشيب، وارتدى بردَاء مِنَ العمر قَشِيب، والحمد للّه رب العالمين، وصل كتابُ مولاي مبشِّرا من خبر عَوْده إلى مقرَ عزّه وشَرَفه، محروسًا في حفظ اللّه وكَنَفه، بما لم تزل الآمال تتنسَّم روائحه، وتترقّب غاديَ صُنْع اللّه فيه ورائحَه، واثقةً بأنّ عادةَ اللّه الكريمة عنده تُسَايره وتُرافقه، وتلزم جنابه فلا تُفارِقه، حتى تُخرجَه من غَمْرة الغَماء خروجَ السيف من الغِمْدِ، والبدر بعد السِّرَار إلى الانجلاء، فعددْتُ يوم وُرودِهِ عيدا، أعاد عهد السُّرور جَدِيدا، وردَّ طَرْفَ الحسود كليلا وقد كان حَدِيدا، ولم أُشَبِّهْهُ في إهداء الرَّوح والشفاء، وتلافي الرُّوح بعد أن أشْفَى على المكروه كل الإشفاء إلا بقميص يوسف حين تلقّاه يعقوبُ عليه السلام من البشير، وألقاه على وجهه فنظر بعَيْنِ البصير، فكم أوسعتُه لثمًا واستلامًا، والتقطتُ منه بَرْدا وسلاما، حتى لم تبق غُلَّة في الصدر إلاَّ بَرَدْتُهَا، ولا غُمّة في النفس إلاَ طَرَدْتُها، ولا شريعة من الأنس إلاَّ وردْتُها"(٥).

---

(١) مواد البيان: علي بن خلف الكاتب، تحقيق د. حسين عبد اللطيف، ص ٦١٧، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس١٩٨٢م. وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي: ١٧٣/٩، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٠هـ-١٩٢٢م.

(٢) ينظر نماذج أخرى: مخزون البلاغة ص٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤٦. يتيمة الدهر: ٤٢٠/٤، ٤٢١.

(٣) ينظر: مواد البيان: ص ٥٨٩، وصبح الأعشى ٥/٩ .

(٤) في "درج الغرر" ما نفهم منه أن هذه الرسالة – والشعر الذي ذكره المطوعي في هذا الموضع– كلاهما قيل في أوْبة أبيه من "بُسْت" إلى "نيسابور" بعد امتداد غيْبته بها. ينظر ص ٨٣.

(٥) زَهر الآداب: ١٦٥/١، ١٦٦. دَرْج الغُرر: ص٦٤.غمرة الغماء: التغمية: الستر والتغطية، لسان العرب(غما). البدر بعد السرار: السرار: آخر ليلة من الشهر، ولا يظهر فيها القمر.

إن معاني البهجة والسعادة والإشراق تشيع في رسالة الكاتب، فقدوم أبيه ملأ قلبه نورا وإشراقا، وبهجة وسرورا، والصياغة التعبيرية تكشف عن ذلك، فالعبارات: (ارتدَّ إليه شبابُه، قشيب، مبشرا، محروسًا، يوم وُرودِهِ عيدا، أعاد عهد السُّرور، ردَّ طَرْفَ الحسود كليلا، أوسعتُه لثما واستلاما، بَرْدا وسلاما، السيف، البدر) لها دورها في الكشف عن بهجته وسروه، وتؤكد قدر أبيه ومكانته عنده، وقد عبر الميكالي عن هذه المعاني شعرا ، فيه ما في الشعر من تكثيف، نراه تم بسطه في رسالته، قال: (من الطويل)

نبت بكَ عن أوطان عزك غَيْبة فكنَّا كزَنْدٍ عُطِّلتْ من سوارها

وكنتَ الثريا حين عادتْ وأشرقتْ أَمِنَّا بها الآفات بعد حذارها(١)

والجو الإيماني المشرق تشع ظلاله في تصوير الكاتب وتعبيراته:(والحمد لله رب العالمين، حفظ اللّه وكنفه، صُنْع اللّه، عادةَ اللّه الكريمة تُسَايره) وفي هذا ما يكشف إيمانه بأن الأمر كله لله، فهو الحفيظ، وبيده الخلق والأمر.

ومن نماذج التهنئة بمولود قوله: "الحمد لله على النجل الموهوب، ومرحبا بقُرَّةِ العيون، وريحانة القلوب، ولدٍ سعيد يهنأ به أكرم والد، ومجدٍ طريف أضيف إلى فضلٍ تالدٍ، فأبقاه الله لك بسطةَ عضدٍ، تتصل بذراعك، وخِلْبَ كبد تطول به مدةُ إمتاعك"(٢).

إن استهلال التهنئة بحمد الله- تعالى- استهلال طيب يشف عن فضل هذه النعمة، ويؤكد على قيمتها، وأثرها في نفس الوالد، فهي من النعم الجليلة، والمِنن العظيمة، قال تعالى: ﴿المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٣)، وقال الشاعر:(من الكامل)

نِعَمُ الإلهِ على العبادِ كثيرةٌ وأجَلّهنَّ نجَابةُ الأولادِ(٤)

والكاتب يرجو أن يكون هذا المولود مصدر سعادة أبيه، وأنسه في حياته، وزيادة في النسب الطيب، والعرق الطاهر، والذِّكر الباقي، والمجد الخالد له بعد مماته، مشدودا به عضده، مرفوعا به ذكرُه.

والمفردة التي استعان بها الكاتب في تهنئته: (قرة العيون، ريحانة القلوب، يهنأ به، مجد طريف، بسطة عضد، خلب كبد، إمتاعك) تؤكد مدى شوق الوالد إلى هذا المولود، ومدى قيمة هذه العطية في نفسه، كما تكشف عن عراقة نسب المولود، ولمثل هذا ينبغي أن تكون التهاني(٥).

---

(١) دَرْج الغُرر: ص٨٣ .

(٢) مخزون البلاغة ص٣٩٠، يتيمة الدهر: ٤٢١/٤ . الخلب:حجاب بين القلب والكبد.

(٣) سورة الكهف: من الآية(٤٦).

(٤) البيت بغير نسبة في زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي، تحقيق: د.محمد حجي، د.محمد الأخضر ٢٦٦/٢، دار الثقافة، المغرب، الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٥) ينظر نماذج أخرى في التهاني: مخزون البلاغة ص٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٧، ٤٠٣. يتيمة الدهر: ٤٢١/٤.

سادسا- التعزية.

العزاء والتعزية: التصبر، وتسلية المُصاب، والتسرية عنه، بذكر ما يهوِّن من مصيبته، ويخفف من وطأة الرزء، ويقشع عنه غيوم الكآبة، وسحائب الحزن، والحض على الصبر والاحتساب، والرضا بقضاء الله– تعالى–وقدره.

وقد برزت التعزية في رسائل الميكالي، ومن نماذجها– وقد جمع فيه بين التهنئة والتعزية، على حد قول ابن نباته:(من الطويل)

هنـــاءٌ محـــا ذاك العـــزاء المقـــدَّما فما عبس المحزونُ حتى تبسَّما–(١)

قوله(٢): "أقدارُ الله تعالى في خلقِه لم تَزَلْ تختلفُ بين مكروه ومحبوب... ولكنَّ أحسنَها في العيونِ أثرا، وأطيبَها في الأسماع خبَرا، وأَحْرَاها بأن تَكْسِبَ القلوبَ عزاءً وتصبُّرا، ما إذا طَوَى نَشَر، وإذا نعى بشَّرَ، وإذا أخذ بيد رد بأخرى، وإذا سلب بيُمنى وهب بيُسرى، كالمصيبة بفلان التي أقرَحَتِ الأكباد، وأوهنتِ الأعضاد، وسودت وجوهَ المكارم والمعالي، وأعادت الأيامَ في صُور الليالي، وغادرت المجدَ وهو يلبَس حِدَادَه، والعَدْلَ وهو يبكي عِمَادَه، والدين وهو يندب جهاده، حتى إذا كاد اليأسُ يغلبُ الرّجَاءَ، ويردُّ الظنونَ مُظْلِمةَ النواحي والأرجاء، قيَّض الله تعالى من الأمير الجليل مَنِ اجتمعتْ عليه الأهواءُ، ورضِيَتْ به الدهماء، فآسَى به حادِثَ الكَلْم، وسد بمكانِهِ عظم الثَّلْمِ، ورد الآمال والنفوس وقد استبدلت بالحيرة قوة واستبصارا، وصارت للدولة الميمونة أعوانا وأنصارا"(٣).

الأقدار متقلبة، والدنيا بما فيها هالكة، والمرء أمام أقدار الله ليس له إلا الصبر والتسليم، لأن الأمر كله بيد الله سبحانه، فيجب على المصاب الرضا والتسليم.

وقد اعتمد الكاتب التضاد لبسط هذه المعاني وتأكيدها:(مكروه/محبوب)، (طَوَى/نَشَر)، (نعى/بشَّرَ)،(كسَر/جبر)،(سلبَ بيمنى/ وهبَ بيسرى)،وهو يكشف عن تقلب الأقدار، وتغير الأحوال، كما يظهر دور التضاد في إيقاظ المتلقي، وترسيخ الفكرة، وتأكيد المعنى، وإشاعة الحيوية في النص.

ثم يصور الكاتب مصيبة الموت وأثرها، فهي تبعث على الحزن والألم، وحال صاحبها بين عَبْرَةٍ وزَفْرَة، وأَنّةٍ وحسرة، قد أضعف الحزن عزائمه، ونكأ الألم قلبه، وقرح كبده، حتى بلغ التوجع غاياته، وعلى فراقِ المحبوب حرقةٌ لا تُدْفع، ولوعةٌ لا تُرد.

وقد اعتمد الكاتب التجسيم في رسم صورة الموت، وأثر هذا الرزء فجعل المعنوي محسوسا: (فالعدل يبكي، والدين يندب، واليأس يغلب)، وفي هذا ما يكشف عن خطر الموقف، وشدة النازلة.

---

(١) ديوان ابن نباته المصري ص٤٢٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان بدون.

(٢) في درج الغرر ص٧٤ "من كتاب تعزية بالأمير ناصر الدين سبكتكين، فهو يعزي بالأمير، ويهنئ من خلفه في الإمارة.

(٣) دَرْج الغُرر: ص ٧٤، ٧٥. مخزون البلاغة: ص٤٦٠– ٤٦٢. زهر الآداب: ١٢٤/٣، ١٢٥. الأعضاد: جمع العضد، وهو ما بين الكتف والذراع. الدهماء: عامة الناس وسوادهم. الثلم: الشق، والكسر.

كما كان للمفردة دورها في تصوير وقع هذه المصيبة: (أقرحت، أوهنت، سودت، صورت، غادرت) فالدموعُ واكفة، والقلوب جازعة مجروحة، والأكباد ذائبة مقروحة، والعزائم ضعيفة خائرة، والهم رابض، والحزن عاكف لا ينفك عن صاحب المصيبة، لذا كانت التعزية.

ومن نماذجها أيضا يعزي في ابن(١): "لئن كانت الرزيَّة بِمُضِيِّهِ مُمِضَّة مُؤلمة، وطُرُقُ العزاءِ والسَّلْوة مُبهِتةٌ، لقد حلَّت بساحةِ من لا تُنتقَص بأمثالها مرَائِرُه، ولا تَضْعُفُ عن احتمالها بصائِرُه، بل يتلقّاها بصَدرٍ فسيح يَحْمي أن يُبِيحَ الحزنُ جنَابَهُ، وصبرٍ مُشيح يحمي أن يُحْبطَ الجزعُ أجره وثوابَه، وكيف لا وآدابُ الدينِ من عنده تُلتمس، وأحكامُ الشرع من لسانه وبَنانهِ تستفاد وتُقْتبس؟ والعيونُ ترمُقُه في هذه الحال لتجريَ على سَنَنه، وتأخذَ بآدابه وسُننه، فإن تَعَزَّت القلوب فلحُسْنِ تماسكه عزاؤها، وإن حسُنَت الأفعال فإلى حميدِ أنحائه ومذاهبه اعتزاؤُها"(٢).

إن موت الابن هو الصدعُ الذي لا يُجبر، والمصيبةُ التي لا يُرجى برؤُها، وقد قيل: "موتُ الولدِ صدْعٌ في الكبد، لا ينجبرُ آخرَ الأبد"(٣). قال أبو ذؤيب وقد هلك بنوه: (من الكامل)

أَوْدَى بَنِـــيَّ وَأَعقَبُـــوني غُـــصَّةً بَعـــدَ الرُقـــادِ وَعَبْـــرَةً لا تُقلِـــعُ(٤)

والكاتب هنا يدعو صاحب المصاب إلى الصبر والتسليم، والرضا بقضاء الله- تعالى- تنجزا للثواب العظيم الذي أعده الله للصابرين، فإن ذلك مما يُخمد لوعته، ويُسكن زفرته، ويُنفّس كربته. قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(٥).

وقد انعكست آثار تلك الدعوة على التعبير والتفكير والتصوير:(لا تُنتقَضُ مرَائِرُه، لا تَضْعُفُ بصائِرُه، يتلقّاها بصَدرٍ فسيح، وصبرٍ مشيح)، وهي تؤكد حرص الكاتب على مواساة صاحبه، وعمق الإحساس بجلال هذا الخطب وعظمته.

وفي تعازي الكاتب -عامة- نزعة وعظية تؤكد تأثره بهذا الموقف الجلل، اتخذها سبيلا لمواساة المعزَّى، وهي تشف عن حرارة الانفعال بالموقف، وصدق التجربة، وتكشف عن روح إيمانية تسري في النص(٦).

---

(١) من كتاب تعزية عن أبي العباس ابن الشيخ الإمام أبي الطيب الصعلوكي. ينظر: دَرْج الغُرر: ص٧٦.
(٢) دَرْج الغُرر: ص٧٦. زهر الآداب: ٢٥٧/٤، ٢٥٨، ١٣٥. وبعضه في سفينة الصالحي٧٣٧/٢.
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين وزميله: ٤٣٨/٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤م.
(٤) ديوان الهذليين ١/١، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة، الثانية ١٩٩٥م.
(٥) سورة البقرة: الآيات (١٥٥-١٥٧).
(٦) ينظر نماذج أخرى: مخزون البلاغة: ص٤٣١، ٤٣٤،٤٣٥ ،٤٣٨-٤٤١، ٤٥٨، ٤٦٢. زهر الآداب: ٢٥٨/٤. دَرْج الغُرر: ص٧٥، ٧٧. يتيمة الدهر: ٤٢٣/٤.

سابعا- الهجاء والذم

النفوس المؤمنة تأبى ما يعكس تردي الأخلاق وفساد الأذواق، فتتحاشى الذمَّ والهجاء، وتصبر وتعفو، امتثالا لأمر ربها جل وعلا، قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾(٢).

وكان الأمير أبو الفضل الميكالي على خلق، وقد تخلق بخلق الإسلام في هذا الجانب، ومن ثم رأينا الهجاء قليلا في رسائله، وفي مخزون البلاغة نجد ما يتصل بذلك، جاء في خلال باب عنوانه: "في العتاب والذم والاعتذار وشكوى الزمان والحال" وهذا ينبئ عن أن من استخرج فصوص الفصول المستخرجة من رسائله لم يجد بابا مفردًا للهجاء والذم حتى يفرده.

ومن نماذجه القليلة قوله: "ولئن شكوتُكَ إلى الدهر شكوت منه إلى خليقتك في الإعنات، والمستن بسيرتك في قبيح الهنات، فقد تجاريتما في الظلم إلى غاية واحدة، واخترعتما في العقوق كل بدعة وآبدة، ولعلك تزيد عليه وطأً في الظلم ثقيلا، وسبحًا في الختْل طويلا، بل أنت أبعد منه في الإساءة غوْرًا، وأحد في النكاية غربًا، وأجرأ على المناكير قلبًا، لا بل أنت أكثر منه مَذْقًا، وأمرُّ مذاقا، وأظهر خلافا، وأقل وفاقًا، فما هذه المكاشفة والمخاشنة؟، وأين المهادنة والمداهنة؟ وأين الحيا والتذمم، والعفاف والتكرم؟، وأين لِينُ المَكْسَرِ، ولدونة المعطف، وحلاوة المذاق، وسهولة المقطف؟!"(٣).

إن خطاب الكاتب يسفر عن طباع صاحبه، وهي طباع دنيئة، وخصال رديئة، لا ترضاها الفطر السوية، غمسته فيما تنبو عنه العيون، وتنفر منه القلوب، فقد بلغ الغاية في الظلم، والنهاية في العقوق. والصياغة التعبيرية تكشف عن ذلك وتؤكد غضب الكاتب:(تجاريتما، اخترعتما، العقوق، الظلم، الختل، الإساءة، النكاية،غورا)، كما يكشف أفعل التفضيل:(أبعد، أحد، أجرى، أكثر، أمر، أظهر، أقل) عن بلوغه الغاية في الظلم والعقوق، وقد عانى الكاتب من عقوقه فملأ قلبه حرقة، وجوانحه نارا.

والاستفهام:(فما هذه المكاشفة؟ وأين المهادنة؟ وأين الحياء والعفاف والتكرم؟، وأين لين المكسر...؟) يدل على تعجب الكاتب واستنكاره المكاشفة بالعداوة من صاحبه، ويكشف عن غياب هذه الصفات عن المهجو، وفيه من التأنيب والتقريع والتوبيخ ما يؤكد رغبة الكاتب عن صاحبه، والحط من شأنه، والتأكيد على غضبه، وهي معان تسيطر على الرسالة حتى نهايتها.

ومنه أيضا قوله:"ما زلت أداريه وألاطفه، وأؤمل أن تلين لي مكاسره ومعاطفه، حتى إذا كشف لي قناع الجفوة، ومدَّ إليَّ ذراع السطوة، جزيته صاعا بصاع، وبسطت له باعا بباع،

---

(١) سورة آل عمران: من الآية: (١٣٤).

(٢) سورة الشورى: من الآية: (٤٠).

(٣) مخزون البلاغة ص ٢٧٤، ٢٧٥، يتيمة الدهر: ٤١٩/٤. الآبدة: الداهية. المذق: خلط المودة بالبغض أي لم يصْفُ له.

وسعيت إلى معارضته بِخُطًى وساع، وكذلك من ساء سمعا أساء إجابة، ومن زرع مكرا، حصد خِلابة"(١).

هذه الرسالة تجري في مضمار سابقتها، وكأنها تحكي ما كان من أبي الفضل بعد أن كاشفه صاحبه بالعداوة، والكلمات:(أداريه، ألاطفه، أؤمل..) تدل على حرص الكاتب على بقاء المودة، ودوام المحبة بينه وبين صاحبه، لكنه لم يجد إلا الجفوة والتنكر، والتعزز والتمنع، والصد والإعراض، لذا سامه الاحتقار والإهمال، وبسط له باعا بباع، وسعى إلا معارضته ما استطاع، ورغب عن مودته، وطلبِ صحبته.

إن هجاء الميكالي أقرب للعتاب الخشن الشديد، فهو لا يقذع فيه ولا يفحش، ولكنه التأنيب والتقريع، وفيه دعوة إلي نبذ الرذائل والمثالب، والتحول عنها إلي السجايا المحمودة، والخصال الكريمة(٢).

ثامنا- عيادة المريض.

هي من الحقوق الإسلامية الواجبة من المسلم تجاه أخيه المسلم، قال رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ"(٣).

إن عيادة المريض تكسر من سوْرة علته، وتلين من شدتها، وتخفف من حدتها، وفيها مجال للمباثَّة، والمساعدة ومد يد العون، والدعاء بتعجيل الشفاء والعافية. ورسائل العيادة عند الميكالي قليلة، وأغلبها فصول قصار، ومن نماذجها قوله: "لو استطعت لخلعت عليه سلامتي سربالا، وأعرته من جسمي صحة وإقبالا، فلست أتهنأ بالعافية مع سقمه، ولا أتمتع بنضارة عيشي مع شحوب جسمه"(٤).

إن الصياغة التعبيرية:(لو استطعت، لخلعت، وأعرته، فلست أتهنأ، ولا أتمتع) تؤكد على عنايته بصاحبه، واهتمامه لأمره، وتقديره لشخصه، ولو استطاع أن يعيره صحته وعافيته لفعل. قال الشاعر:(من البسيط)

قالوا: أبو الفضل معتل، فقلت لهم: نفسي الفداء له من كل محذور

يا ليت علته بي غير أنَّ له أجرَ العليل، وأَني غيرُ مأجور(٥)

---

(١) مخزون البلاغة: ص٢٧٣، يتيمة الدهر: ٤١٩/٤. الخلابة: الخداع.

(٢) ينظر نماذج أخرى مخزون البلاغة: ص٢٧٣، ٢٧٥. يتيمة الدهر: ٤١٨/٤، ٤٢٠ . تاريخ العتبي: ص ٢٦٥.

(٣) صحيح البخاري(الجامع الصحيح) محمد بن إسماعيل البخاري ٣٨٤/١، حديث رقم (١٢٤٠)، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، الأولى ١٤٠٠هـ.

(٤) مخزون البلاغة ص٤٢٠، ٤٢١، يتيمة الدهر: ٤٢٢/٤.

(٥) البيتان لمسلم بن الوليد، شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق:د. سامي الدهان، ص٣٢٣، (س ذخائر العرب)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.

ومن نماذجها أيضا: "كان من العلةِ بين أنياب وأظفار، ومن الردى على شفا جرفٍ هار، فتداركه الله برحمة رشت على سقمه ماء الشفاء، ومجت برد العافية في حر الأحشاء"(١).

لقد استولت العلة على صاحبه حتى كادت تهلكه وتقضي عليه، إلا أن الله تداركه برحمته، ومنَّ عليه بالعافية، وقوله: (أنياب وأظفار، شفا جرف هار)، يؤكد استيلاء العلة على صاحبه حتى أصبح رهينها، لا يرجو من صرعتها استقلالا، ولا يؤمِّل من وثاقها انحلالا، حتى أذن الله له بالشفاء والعافية(٢).

تاسعا- العتاب و اللوْم والاعتذار

يحدث أن يكون بين المتحابين ما يعكر صفو ودهما، فيأتي العتاب ليخفف من شدة الجفوة، ويقرب من بُعدِ الشُّقَةِ، والمحب يترك مجالا للمراجعة، فلا يبالغ في الشقاق، ولا يباعد في الفراق، بل يفتح بابا للصفح والعفو. قال الشاعر:(من الوافر)

إذا ذهب العتاب فليس ودٌ ويبقى الود ما بقي العتاب(٣)

ورسائل الميكالي في العتاب فصول قصار؛ تؤكد حرصه على بقاء الود، ودوام المحبة، وفيها عتاب المحب الحريص على ود صاحبه، وتفصح عن شخصية تتسم بالرقة والعذوبة، واللين والهدوء. منها قوله: "لو نظر في أمري بعين رضاه، وقضى فيه بحكومةِ رأيه دون هواه، لنفى عن قلبه ما أوهمه، واستصحَّ من عيبي ما اتهمه، وعلم أني صديقه الذي لا يزايل خُلَّتَهُ أو تزولَ الهضاب، ولا يشوب بالخُلف مودَّتَهُ أو يشيبَ الغراب"(٤).

إن الأفعال:(نظر، وقضى، نفى، واستصَحَّ، وعلم، يزايل، تزول، يشوب، يشيب) تؤكد حرص الكاتب على بقاء المودة، وبقاء الصحبة، ودوام المودة بينه وبين صاحبه، فلو نظر في أمره وتروي لعلم أنه من أصفيائه ومحبيه.

وقوله:"رددني من جفائه زمانا بين إعراض وقطيعة، وأوردني منها أوخم شريعة، حتى إذا ورد كتابُه وبي فرحة الظمآنِ وافق بَلالا، والعليل صادف إبْلالا، تضمَّنَ من مُرَّ العتاب، ما هو أمض من القذف والسباب، وكان كثاطةٍ مُدت بماء، وجمرة أُعينت بحلفاء"(٥).

إنه حريص على بقاء الصحبة، ودوام المودة بينه وبين صاحبه، فقد جفاه طويلا، وأعرض عنه، ولما ورده كتابه انشرح صدره، وأشرق قلبه، لكنه عاتبه أشد العتاب، وظنّ به ظنّ السوْء.

---

(١) يتيمة الدهر: ٤٢٢/٤. مخزون البلاغة ص٤٢١، مجت: أدخلت وأشربت.

(٢) ينظر نماذج أخرى للعيادة: مخزون البلاغة ص٤١٥، ٤٢٥-٤٢٩. يتيمة الدهر:٤٢٢/٤.

(٣) ينظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ص٤٦٥، الدار العربية للكتاب، بيروت ١٩٩٣م.

(٤) مخزون البلاغة ص٢٧١.

(٥) يتيمة الدهر: ٤١٩/٤. مخزون البلاغة ص٢٧٠، الثأطة: الحَمْأة، إذا أصابها الماء ازدادت رطوبةً وفسادًا. وهو مثل يضرب للرجل يشتدُّ موقُه وحُمْقه، والمعنى يشتدّ ويزيد. لسان العرب(ثأط). الحلفاء: نبات محدد الأطراف يصنع من الحصر والحبال ونحوها.

والمفردة تؤكد ذلك: (مُرّ، أمض، القذف، السباب، كثاطة، جمرة، حلفاء)، وهي تكشف عن الأثر السيئ لهذا العتاب الممض على نفس الكاتب.

ومن هذه الفصول قوله معتذرا: "جربني تجدني ليِّن العطْفة، سهلَ الرجْعة، سمحَ المقادَة، قريبَ المنالة، ذائب الضغينة، خامد السكينة، سريعا إلى المحافظة، بطيئا عن الحفيظة"(١).

وهي معانٍ تؤكد حرص الكاتب على بقاء المودة، ودوام المحبة، ولين الجانب، وحسن الصحبة، فلو عاتبه لقبل عتابه، ولسعى إلى إعتابه وإرضائه، تكشف عن ذلك هذه الصفات والأحوال: (ليِّن، سهل، سمح، قريب، ذائب، خامد، سريعا، بطيئا) وتؤكد حرص الكاتب على دوام الصلة، وبقاء الصحبة(٢).

عاشرا- في الفتوح ووصف المعارك

أورد الثعالبي في يتيمة الدهر للميكالي فصولا قصارا في وصف المعارك والحروب، تدل على القوة والمنعة، وشدة البأس والظفر على الأعداء. منها قوله: "لما مشيتَ إليهم مشت قلوبهم في الصدور، وحلت بهم قاصمة الظهور، فهم بين أعمار تباح، ودماء تساح، وأجسام تطاح، وأرواح تَسْفِي بها الرياح"(٣). وقوله: "إذا عبأ للغزو كتائبه، وأخرج نحو العدى مضاربه، خفقت بنصره الأعلام، ونطقت وراء رماحه الأقلام"(٤). وقوله: "بين صفوف ترصف، وسيوف تنصف، ورماح تقصف، وأرواح تتخطف، حيث الدواهي سود المناظر، والمنايا حمر الأظافر"(٥).

وهي صياغة تدل على خطر الموقف وشدته، وشدة الطعان، وضرب الرقاب، وتؤكد شدة بأس من يتحدث عنه، وقوته وشجاعته في الحروب، فهو يكر على الأعداء، ويقضي عليهم، فيولون الأدبار، فلا ترى إلا آثار السفك والقتل، والأعلام تخفق فرحة بالظفر، والأقلام تنطق مسجلة النصر العظيم(٦).

إن رسائل الميكالي- بأغراضها وموضوعاتها- جاءت معبرة عن تجربته الفنية بمعانيها وأفكارها وصورها، كاشفة عن شعوره وأحاسيسه، متوائمة مع الجو النفسي الذي يعيشه، ملتحمة به، مفضية في النهاية إلى تعانق الأفكار مع المعاني، وتآزر الشكل مع المضمون، والسمو بالتجربة إلى أعلى درجاتها الفنية.

---

(١) مخزون البلاغة: ص ٢٦٧، يتيمة الدهر: ٤١٨/٤ . وفيه تصحيفات.

(٢) ينظر نماذج أخرى: مخزون البلاغة ص ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٠، يتيمة الدهر: ٤١٨/٤، ٤٢١،٤٢٠،٤١٩.

(٣) مخزون البلاغة: ص ٤٩٤. يتيمة الدهر: ٤٢٥/٤. تاريخ العتبي: ص ٢٦٥.

(٤) مخزون البلاغة: ص ٤٨١. يتيمة الدهر: ٤٢٥/٤. تاريخ العتبي: ص ٢٦٥.

(٥) مخزون البلاغة: ص ٤٨٣. يتيمة الدهر: ٤٢٥/٤. تاريخ العتبي: ص ٢٦٥.

(٦) ينظر نماذج أخرى: مخزون البلاغة: ص٤٧٣، ٤٧٤، ٤٨٠-٤٨٤. يتيمة الدهر: ٤٢٥/٤. تاريخ العتبي: ص ٢٦٥.

الفصل الثاني: البناء الفني

أولا- البدء

مفتتح الرسالة هو أول ما يطالعه المرسَلُ إليه، وهي لبنة الأساس الأولى، لذا يلزم أن تكون من احتفال الكاتب بالقدر الذي يتناسب ودورها في تحريك خاطر المتلقي إلى الوجهة التي يريدها عمله الكتابي(١).

وينبغي على الكاتب أن يجعل من مفتتح رسالته ما ينم عن مضمونها، "إن كان فتحا ففتحا، وإن كان هناء فهناء، أو كان عزاء فعزاء"(٢). بحيث يكون الابتداء ملائما لموضوعها، كاشفا عما يقصد إليه من معان ومضامين. فمتى كان الابتداء حسنًا شدّ انتباه المتلقي، وكان أدعى إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام.

وكان الكتاب كثيرا ما يصرحون في رسائلهم المتبادلة بينهم بإعجابهم بهوادي الرسائل التي تصل إليهم وأعجازها،- أي ابتداءاتها وخواتمها- فضلا عن رقة ألفاظها وبلاغة فصولها(٣)، ودليل ذلك قول الميكالي مجاوبا الثعالبي: "وصل كتاب مولاي وسيدي، أبدع الكتب هوادي وأعجازا، وأبرعها بلاغة وإعجازا"(٤). وفي هذا ما يكشف عن أهمية الابتداءات والخواتيم، ويؤكد عناية الكتاب بها.

<u>وقد جاء استهلال الميكالي رسائله منوعا؛ ومن ذلك:</u>

<u>أ- الاستهلال بالتحميد:</u> ومن نماذجه قوله: "الحمد لله ملء القلوب والضمائر، وفوق وسع الحامد الشاكر، إذ أقبلت غمامة من ناحيتك، برقها خلق كريم، وقطرها بر عميم"(٥).

وقوله: "الحمد لله على النجل الموهوب، ومرحبا بقُرَّةِ العيون، وريحانة القلوب، ولد سعيد يهنأ به أكرم والد، ومجد طريف أضيف إلى شرفِ تالد"(٦).

---

(١) ينظر: كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ص٤٣١، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م. مواد البيان: ص١٢٢. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د: مصطفى جواد، د: جميل سعيد: ص ١٨٨، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، العراق ١٣٥٧هـ - ١٩٥٦م.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، تحقيق:د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، ٩٦/٣، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٣م.

(٣) ينظر: الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، ص ٣٥٩.

(٤) زهر الآداب: ١٦٣/١. دُرْج الدرر: ص٦٢ .

(٥) يتيمة الدهر: ٤/ ٤١١. مخزون البلاغة ص٤٦. وفيه: (فالحمد لله) بالفاء.

(٦) يتيمة الدهر: ٤٢١/٤. مخزون البلاغة ص٣٩٠.

ب- <u>الاستهلال بلفظة مشتقة من الكتابة، وهو كثير في رسائل الميكالي:</u> ومن ذلك الاستهلال بلفظة(كتبت)، ومنه قوله: "كتبت وأنا بمنزلة من ارتدَّ إليه شبابُه بعد المشيب، وارتدى بردَاءٍ مِنَ العمر قَشِيب"(١). وقوله: "كتبت عن أجفان شَرِقَة بالدموع، ونيران متقدة بين الضلوع، وبنان تود لو بانت قبل أن تخط بذكر نازل الخطة"(٢).

ومن نماذج الاستهلال بلفظة (كتابي): "كتابي وأنا أشكو إليك شَوْقا لو عالجه الأعرابي لما صَبَا إلى رَمْل عالج"(٣). وقوله: "كتابي ونعم الله عندي وفق الأمل والمراد، وفوق طاقة الشكر والاعتداد"(٤).

ج- <u>الاستهلال بضمير المتكلم (أنا)</u>، وهو كثير في رسائله، ومن ذلك قوله: "أنا وإن لم تتقدّم بيني وبينه المكاتبة... فإن قلبي بودِّه مَغْمُور، وضميري على مُصَافاته مقصور"(٥). وقوله: "أنا أسأل الله تعالى أَن يردَّ علي بَرْدَ العيش الذي فَقَدْتُه، وفسحة السرور الذي عَهدْتُه؛ فيَقْصر منِ الفراق أَمدُه، ويعلو للالتقاء حكمه ويَدُه"(٦).

د- <u>الاستهلال بلفظة(وقفت) وما في معناها</u> كـ (وصل)أو(ورد) إذا كان الكتاب جوابيًّا. ومن ذلك قوله:"وقفتُ على ما أتحفني به الشيخ: من نَظمِه الرائق البديع، وخَطه المُزْري بزهر الربيع"(٧). وقوله: "وصل كتابك فأذعنت القلوب لفضله بالاعتراف، واختلفت الألسن في تشبيهه ببدائع الأوصاف"(٨). وقوله: "وردَ فلانٌ فتعاطى من شُكْرِه على نعمِه التي ألبسه جمالَها، وأسحَبه أذيالَها، ما لو لم يتحدّث به ناشرا ومُثنيا، ومعِيدا ومُبْديا، لأَثنَت به حَالُه، وشهَدَتْ به رِحَاله"(٩).

---

(١) زهر الآداب: ١٦٥/١، ١٦٦. دَرْج الغُرر: ص٦٤ . مخزون البلاغة ص٣٩٦ .

(٢) دَرْج الغُرر: ص ٧٥. مخزون البلاغة ص٤٥٨. ينظر نماذج أخرى: يتيمة الدهر: ٤١٤/٤ ، ٤٢٣ . مخزون البلاغة ص١٣٨.

(٣) زهر الآداب: ٢٣٦/٢، ٢٣٧. دَرْج الغُرر: ص٦٥، ٦٦. مخزون البلاغة ص١٠١.

(٤) مخزون البلاغة ص٤١، وينظر نماذج أخرى ص٤١، ٤٢، ٨٣، ١٣٩.

(٥) زهر الآداب: ٢٣٧/٢، ٢٣٨. دَرْج الغُرر: ص ٦٨، ٦٩ .

(٦) زهر الآداب: ١٣٤/٤، ١٣٥. دَرْج الغُرر: ص٧١. ينظر نماذج أخرى: زهر الآداب: ١٦٢/١، ٢٣٧/٢، ٢٣٨. دَرْج الغُرر: ص ٦٨، ٦٩ . يتيمة الدهر: ٤١٢/٤ ، ٤١٣. مخزون البلاغة ص٨٥، ٨٨، ٨٩.

(٧) زهر الآداب: ١٦٢/١.

(٨) يتيمة الدهر: ٤/ ٤١٢. تاريخ العتبي: ص ٢٦٤. مخزون البلاغة ص ٥٤، وينظر نماذج أخرى مخزون البلاغة ص ٤٤، ٤٥. ٥٨، ٦١، ٦٨ ،١٢٧، ١٢٨، غيرها.

(٩) دَرْج الغُرر: ص٦٧، ٦٨ . ينظر نماذج أخرى: زهر الآداب: ١٦٥،١٦٧/١. دَرْج الغُرر: ص٦٢، ٦٣، ص٦٥. مخزون البلاغة ص ٧٥ .

هـ- كما جاءت بعض الرسائل خالية من هذه الابتداءات؛ فيعمد الكاتب إلى غرضه مباشرة دون تقديم، ومن ذلك قوله: "وكان فرطُ التعجب مَرَّة وعِظَمُ الإعجاب تارة يقفُ بي عند أول فصل من فصوله، ويثبّطني عن استيفاء غُرَره وحُجُوله، ويُوهمني أنَّ المحاسنَ ما حَوَتْه قلائدُه، ونَظمته فرائدُه"(١).

وقوله: "فأمّا التُّحْفَةُ التي شَفعها بكتابه فقد وصلت، فكانت ضَرَّة لزهرِ الربيع، موفية بحُسْنِ الخطِّ على الوَشْي الصنيع"(٢).

وأغلب الظن أن هذه فصول من رسائل طويلة قد حذفت مقدمتها، ودليل ذلك ما جاء في التقديم للرسالة من مثل قولهم: وله فصل من كتاب، وله فصل من رسالة، وغير ذلك(٣).

وقد يعود السبب في خلو هذه الرسائل من الابتداءات إلى صنيع النساخ والمؤرخين، إذ كانوا يلجأُون لذلك اختصارا، وتخففا من النسخ، وقد يكون السبب هو ما تنطوي عليه نفس الكاتب من فوران الصدر، وصدق الأحاسيس، وقوة الشعور، فلم يدَع أمامه مهلة ليقدّم بين يدي غرضه، فيعبر عما في نفسه مباشرة دون تقديم أو استهلال!.

ثانيا- الانتقال

إذا كان مستهل الرسالة وختامها من العناصر المهمة في بنائها فإن مضمون الرسالة هو أهم ما فيها، وعلى الكاتب أن يربط بين مضمون رسالته في الابتداء كما يدل عليه- أيضا- في الختام، فالبدء والختام لابد أن يرتبطا ارتباطا وثيقا بمضمون الرسالة، فيكون بينهما تواؤم وترابط واضح، حتى تتحقق البنية الكلية.

وقد اصطلح النقاد على تسمية الرابط بينهما بما يسمى: حسن الخروج، أو حسن الانتقال، أو حسن التخلص. يقول صاحب مواد البيان:"حكم المقدمة والتشبيب الواقعين في المنثور والمنظوم أن يكونا متصلين بما بعدهما وغير منفصلين عنه،فأما مقدمة المنثور: فأن يكون اتصالهما بما بعدهما من طريق المعنى، وهو اشتمالها بالقول المجمل على معاني ما جعلت مقدمة له، واشتمال ما بعدها على تفصيل ما أجمل فيها"(٤).

وكان الميكالي يربط بين فواتح رسائله ومضمونها من ناحية اللفظ والمعنى، وفي هذا ما يقوى الربط بين أجزاء الرسالة، ويؤدي إلى تماسكها، وكان ينتقل من الفاتحة إلى مضمون الرسالة بألفاظ وروابط مختلفة منها:

---

(١) زهر الآداب: ١٦٦/١. دَرْج الغُرر: ص٦٤، ٦٥.

(٢) زهر الآداب: ٢٥٨/٤. دَرْج الغُرر: ص٧٨. ينظر نماذج أخرى: زهر الآداب: ٢٣٧/٢، ١٢٣/٣، ٢٥٨/٤ دَرْج الغرر: ص٦٦، ٦٧، ٧٧. يتيمة الدهر ٤١٥/٤ .

(٣) ينظر-على سبيل المثال-: زهر الآداب: ١٦٣/١، ١٦٦. دَرْج الغُرر: ص٦٢، ٦٤، ٦٥. يتيمة الدهر: ٤/ ٤١٢. ومخزون البلاغة للميكالي خير شاهد على ذلك.

(٤) مواد البيان: ص ٢٦٦ .

أ- **أن ينتقل بلفظة (وصل)**، إذا كان الكتاب جوابيا، ومن ذلك قوله: "كتبت وأنا بمنزلة من ارتدَّ إليه شبابُه بعد المشيب، وارتدى بردَاء مِنَ العمر قَشِيب، والحمد للّه رب العالمين، وصل كتابُ مولاي مبشِّرا من خبر عَوْده إلى مقرَ عزّه وشَرَفه، محروسا في حفظ اللّه وكَنَفه"(١).

ب- **وقد ينتقل بحرف التشبيه الكاف**، ومن ذلك قوله من رسالة تعزية: "أقدارُ الله تعالى في خلقِه لم تَزَلْ تختلفُ بين مكروه ومحبوب، وتتصرَّفُ بين مَوْهوب ومسلوب... ولكنْ أحسنُها في العيونِ أثرا، وأطيبَها في الأسماع خبَرا، وأَحْرَاها بأن تَكْسِبَ القلوبَ عزاءً وتصبُّرا، ما إذا طَوَى نشر، وإذا كسر جَبِر...كالمصيبة بفلان التي أقرَحَتِ الأكباد، وأوهنتِ الأعضاد"(٢).

ج- **وقد ينتقل بلفظة(وبلغني)**؛ ومن ذلك قوله في مستهل رسالة في الفصد: "قد علم الشيخ أن الدم في الجسم معيار الصحة والسقم، فالأبدان تعتدل أوزانها باعتدال أوزانه، وتتداعى بإفراط نقصانه ورجحانه، والعاقل العالم من طَبَّ نفسه، فاستغنى عن الأطباء، وعرف منها موضع الداء والدواء، وبلغني ما شكاه من فوران الدم واعتلائه، وأحس به من اضطراب النبض وامتلائه، فتعالج منه بعاجل الافتصاد، ورد من غرب غلوائه إلى حميد الاقتصاد، فحمدت الله- تعالى- على ما ألهمه من الصنع الذي أبكى سقمه بدمه"(٣).

د- **وقد يدخل في موضوعه مباشرة**؛ وهذا هو الأكثر(٤). والذي يقرأ رسائل الميكالي يجد الترابط الواضح بين البدء والانتقال والمضمون، فنجد الرسالة وحدة متماسكة، وهذا راجع- في تقديري- لبراعة الكاتب من ناحية، وطبيعة الموضوع من ناحية أخرى.

ثالثا- الختام

بعد ما ينتهي الكاتب من رسالته يصل إلى الخاتمة، فهي آخر ما يبقى في نفْسه، ويجب عليه أن يجعل ختامه حسنا بليغا. يقول الكلاعي: "وكذلك يجب أن يُستجاد آخر الرسالة ويُتْقن؛ حتى يكون قُفْلاً لمحاسنها، كما أنّ أولها مفتاح لذلك"(٥). والناظر في ختام رسائل الميكالي يجد أنها جاءت متوائمة مع مضمونها، مناسبة لغرضها، وقد ختمت بخواتيم منوعة، منها:

أ- **الدعاء**؛ وهو من الخواتيم الحسنة، وعلى الكاتب أن "يتحرى في الدعاء الألفاظ الرائقة، والمعاني اللائقة، ويتوخى من ذلك ما يناسب الحال، ويشاكل المعنى، ويوافق المخاطب"(٦).

---

(١) زهر الآداب: ١/١٦٥، ١٦٦. دَرْج الغُرر: ص٦٤ .
(٢) زهر الآداب: ٣/١٢٤، ١٢٥. دَرْج الغرر:ص ٧٤، ٧٥ . مخزون البلاغة ص٤٦١.
(٣) مخزون البلاغة ص ٤٢٦، ٤٢٧.
(٤) ينظر على سبيل المثال: زهر الآداب: ١/١٦٦، ٢/٢٣٧، ٤/٢٥٨. دَرْج الغُرر: ص٦٤، ٦٧، ٧٨.
(٥) إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس: ابن عبد الغفور الكلاعي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ص٢٤٣، عالم الكتب، بيروت، الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
(٦) السابق: ص ٨٢.

والختام بالدعاء كثير في رسائل الميكالي؛ ومنه قوله: "والله يُبقِيه لمجدٍ يقيم أعلامَه، وفَضْل يَقْضِي ذِمَامَه، وعُرْفٍ يَبثّ أقسامه، ووليّ يوالي إكرامه، وعدوٍّ يُديمُ قمعَه وإرْغَامَه"(١).

وقوله من رسالة في الشوق:"وما على الله بعزيز أن يقرِّبَ بعيدا، ويَهَب طالعا سعيدا، ويُسَهّل عسيرا، ويفكّ من رقّ الاشتياق أسيرا"(٢).

ب- وقد يختم بالشعر؛ وهو قليل، ومن ذلك قوله: "أنا أولى بالحمد، وقد لحظت مواقع أناملـه، وشمت بوارق فضائله، من راعي القفر وقد رأى القطر سكبا، بعد سنين تتابعت جدبا: (من الكامل)

فأصـاخ يرجـو أن يكـون حيـا ويقـول مـن فـرح هيـا ريـا(٣).

وقوله: "هنأك الله النعمة التي لم تزل عند سواك قلقة الوضين، نافرة الجأش والسكون...إلى أن استقرت من فنائك في نصابها...: (من الطويل)

وألقت عصاها واستقرت بها النوى كمـا قـر عينـا بالإيـاب المـسافر(٤)

ج- وقد لا يختم بشيء من هذه الأمور، فيكون نهاية كلامه هو ختام رسالته، وهذا هو الأكثر في رسائله(٥).

إن التنوع في الختام يعكس عناية الكاتب بخواتيم رسائله، بما يتناسب مع السياق العام، ويخدم المعنى، ويرسخ الفكرة، ويقع موقع القبول والتأثير في المتلقي.

---

(١) زهر الآداب: ١٢٣/٣، ١٢٤. دَرْج الغُرر: ص ٦٨.

(٢) زهر الآداب: ١٣٤/٤، ١٣٥. دَرْج الغُرر: ص٧١. ينظر نماذج أخرى: زهر الآداب: ١٢٤/٣، ٢٥٨/٤. دَرْج الغُرر: ص٧٠، ٧٢ ، ٧٨. يتيمة الدهر: ٤٢١/٤. مخزون البلاغة ص٤٠٤.

(٣) يتيمة الدهر: ٤١١/٤. البيت للراعي النميري، ديوانه بشرح: د. واضح الصمد، ص٢٦٥، دار الجيل، بيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. وفيه : (هيا ربا) بالباء.

(٤) مخزون البلاغة ص ٣٨٥، ٣٨٦، والبيت لمعقر بن حمار، الأغاني للأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس١١٠/١١، دار صادر، بيروت ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٥) ينظر: زهر الآداب: ١٦٢/١، ١٦٥، ٥٦/٢، ٢٣٧، ٢٣٨، ١٢٣/٣، دَرْج الغُرر ص٦١، ٦٣، ٦٦-٦٩ .

الفصل الثالث: ظواهر فنية

للصورة الفنية مكونات وعناصر تتشكل منها وتتآزر جميعها لتنتج في النهاية المعاني المتآلفة التي تثري الفكر، وتقوي الشعور، وتمتع الإحساس، فهي لا تخرج إلى حيز الوجود إلا من خلال تجربة مرت بالأديب، تحرك بها وجدانه، ومارت بها عواطفه، ففارت تلك التجربة حتى تجاوزت حدود الشعور الداخلي، فانتقلت في صور شتى لتعْبُر حاجز الشعور إلى الإحساس، لتعبِّر عن مكنون النفس وخلجات الفؤاد، وقد اصطنع لها الأديب سياقا بيانيا خاصا قوامه الألفاظ، والتراكيب، والإيقاع الموسيقي، والرمز الإيحائي الذي يتولد عن الألفاظ والعبارات، وكل ما يدخل معجمه الأسلوبي وما يزيّن الصورة من محسنات بديعية(١).

والمتأمل في رسائل الميكالي يجد أنه استطاع أن يعبر عن تجربته في قالب أدبي أخاذ، ينبئ عن انفعال حقيقي، وإحساس حي بما يعالجه، والفكرة التي يروم التعبير عنها، وقد استعان بالوسائل المنوّعة، وأنماط التصوير المختلفة في نقل تجربته، وما يختلج في صدره من مشاعر وأحاسيس، والبوح بما في نفسه من أفكار ومعان، **ونحاول الآن الوقوف مع أبرز هذه الوسائل والظواهر الأسلوبية والفنية.**

أولا- القران الكريم

اتكأ الميكالي في تصويره على القرآن الكريم؛ فالكاتب"أحوج الناسِ إلى الاستشهاد بكلام الله- تعالى- في أثناءِ محاوراته، وفصولِ مكاتباتهِ، والتَّمثُّلِ بنواهِيهِ وأوامرِهِ، والذكر لقوارعهِ وزواجرِهِ، وهو حِلْيةُ الرسائلِ، وزينةُ الإنشاءاتِ، وهو الذي يَشُدُّ قُوَى الكلامِ، ويُثَبّتُ صحتَهُ في الأَفهَامِ، فمتى خلتْ منه كانت عاطِلةً من المحاسنِ، عاريةً من الفضائلِ؛ لأنّه الحُجَّةُ التي لا تُدْحضُ، والحقيقةُ التي لا تُرْفَضُ"(٢).

والمتأمل في رسائل الميكالي يظهر له بوضوح حرصه على الأخذ من آي الذكر الحكيم، وتضفير رسائله به على سبيل الاستشهاد، أو التضمين، أو الحل، أو التلميح، (٣)، استجابة للحس الديني عنده، واتخاذه منه قاعدة ينطلق منها في معالجة التجربة أحيانا. ومن نماذج ذلك قوله من رسالة في التهنئة بقدوم: "ولم أُشَبِّهْهُ في إهداء الرَّوح والشفاء، وتلافي الرُّوح بعد أن أشْفَى على المكروه كل الإشفاء إلا بقميص يوسف حين تلقّاه يعقوبُ -عليهما السلام- من البشير، وألقاه على وجهه فنظر بعَيْنِ البصير، فكم أوسعتُه لثمًا واستلامًا، والتقطتُ منه بَرْدا

---

(١) ينظر: من صحائف النقد الأدبي: د. عبد الوارث عبد المنعم الحداد، ص٢٨٣، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

(٢) القانون في ديوان الرسائل: علي بن منجب الصيرفي ت٥٤٢هـ، تحقيق: د.أيمن فؤاد سيد، ص٨، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

(٣) ينظر: مخزون البلاغة ص ٢٩.

وسلاما، حتى لم تبق غُلَّة في الصدر إلاَّ بَرَدْتُهَا، ولا غُمّة في النفس إلاَ طَرَدْتُها، ولا شريعة من الأنس إلاَّ وردْتُها"(١).

إن الصورة القرآنية تكشف عن بهجة الكاتب وسروره بكتاب أبيه الذي بشره بأوبة والده بعد طول غيبته، وتؤكد قوة الحنين، وحرارة الشوق إلى لقائه، فنفسه تتوق إلى رؤياه، وتحن إلى وصاله، وقد شبه الكاتب أثر كتاب البشرى في نفسه بأثر قميص يوسف حين تلقاه يعقوب– عليهما السلام–بالبشر والبهجة والسرور، وهو معنى جميل، وواضح أنه انتزع هذا التصوير من قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾(٢).

وقوله:(بردا وسلاما) فيه إشارة إلى شدة الشَوق الذي كاد يلهب جوانحه، فكان قدومه بردا وشفاء لشوقه الملتهب وحنينه الجارف، وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾(٣)، وهو استلهام يؤكد مدى حرصه على لقائه، وحنينه إليه، والصلة واضحة، والرابط جميل، فالنار التي أُلقي فيها إبراهيم–عليه السلام– تحرق وتذيب، ونار الشوق تحرق القلوب، وتذيب الأكباد.

ومن النماذج أيضا قوله: "كان من العلة بين أنياب وأظفار، ومن الردى على شفا جرف هار، فتداركه الله برحمة رشّت على سقمه ماء الشفاء، ومجت برد العافية في حر الأحشاء"(٤).

إن التصوير هنا يتواءم مع الموقف ويناسبه، ويوحي بمدى سيطرة العلة عليه وتمكنها منه حتى كادت تهلكه، لكن رحمة الله الواسعة تداركته بالشفاء، وبرَّدته بالعافية. والكاتب يشير إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾(٥).

ونماذج اعتماد الميكالي على آي القرآن الكريم والأخذ منه، وتضفير رسائله به كثيرة(٦)، وهي تؤكد حرصه على توظيف القرآن الكريم توظيفا فنيا يقوي معانيه، ويعضد أفكاره، ويضفي عليها البيان والوضوح، والقوة والرسوخ.

---

(١) دَرْج الغُرر: ص٦٤ . زهر الآداب: ١/١٦٥، ١٦٦ .
(٢) سورة يوسف: من الآية (٩٦).
(٣) سورة الأنبياء: الآية (٦٩).
(٤) يتيمة الدهر: ٤/٤٢٢ .
(٥) سورة التوبة: الآية (١٠٩).
(٦) ينظر على سبيل المثال نماذج أخرى: مخزون البلاغة ص٧٢ ،٧٧، ٨٠، ٨٧، ٩٦، ٩٧، ١٢٣، يتيمة الدهر ٤/٤١٠، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢ ، ٤٢٥.

ثانيا- توشيح الرسالة بالشعر

للشعر قيمة لا تنكر؛ لما يملكه من طاقات إيحائية، ودلالات وظلال فنية، تثير في نفس المتلقي التأمل والإمتاع، والكتَّاب هم أعلم الناس بالشعر وقيمته(١) لذا وشحوا به رسائلهم، ووظفوه توظيفا فنيا يثري الرسالة، ويشد من أزرها، ويعضد أفكارها حتى تنحو نحو الكمال الفني، وتقع من المتلقي موقع القبول والتأثير.

يقول ابن منجب الصيرفي: "ويجبُ على الكاتبِ أن يكونَ حافظًا للأشعارِ راويًا للكثيرِ منها، يَستشْهِد بما عساهُ يَحْسُنُ الاستشهادُ بهِ في بعض المواضعِ، فإنهُ للمنظومِ من البهجةِ في النفسِ، والوقْعِ في القلبِ ما ليسَ للمنثورِ، وربما حلَّ منهُ ما يحتاجُ إليه فأتى به منثورًا في أثناءِ رسائلهِ وطَيِّ إنشاءاتهِ"(٢).

وقد استعان الميكالي بالشعر في رسائله، ووظفه توظيفا فنيًا بحيث يفي بغرضه، ويغني الرسالة ويثريها، ويشد من أزرها. ومن نماذج ذلك قوله: "أنا أسأل الله تعالى أَن يردَّ عليَّ بَرْدَ العيش الذي فَقَدْتُه، وفسحة السرور الذي عَهدْتُه؛ فيَقْصر منِ الفراق أَمدُه، ويعلو للالتقاء حكمه ويَدُه، ويَرْجِع ذلك العهدُ الذي رَقَّت غلائله، وصفت من الأقْذَاء مَنَاهله، فلم أتهنأ بعده بأُنس مقيم، ولا تعلّقت يوما إلا بعيش بَهيم: (من الطويل):

فلــو تَرْجــع الأيــامُ بينــي وبينــهُ بـذي الأثْـلِ صَـيْفا مثـل صـيفي ومَرْبعـي
أَشُــدُّ بأَعنــاق النــوى بعــد هــذهِ مرائــرَ إن جاذَبْتُهَــا لــم تَقَطــعِ(٣)

وما على الله بعزيز أن يقرِّبَ بعيدا، ويَهَب طالعا سعيدا، ويُسَهِّل عسيرا، ويفكّ من رقّ الاشتياق أسيرا"(٤).

لما كانت الأشواق مسيطرة على الكاتب، تنبض بها جوانحه، فاضت بها الكلمات كاشفة عن حنينه الجارف إلى الأيام الخوالي، وقد جاء الشعر ليؤكد هذه المعاني، فهو يكشف عن شوق الكاتب العارم، ويوحي بحنينه الجارف، ويقوي من فكرة الرسالة، ويفي بغرضها، ويتواءم مع معانيها، والمتأمل يجد الشعر يبدأ بحرف العطف الفاء (فلو تَرْجع الأيامُ)، وكأن الشعر جاء متمما لتلك الشحنة الشعورية المسيطرة على شعور الكاتب، فلا نشعر بفجوة أو انتقال من النثر إلى الشعر، بل نجد الاتصال الوثيق، والترابط التام.

---

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ١٠٥/٢ ، دار الجيل، القاهرة، الخامسة١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(٢) القانون في ديوان الرسائل: ص ١١.

(٣) البيتان لمحمد بن الفضل بن عبد الرحمن، ينظر: معجم الشعراء للمرزباني، تحقيق:عبد الستار أحمد فراج، ص٣٥٢،(س الذخائر)،الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠٠٣م. ذو الأثل: اسم موضع. المرائر: جمع المريرة وهي العزيمة. وطاقة الحبل.

(٤) زهر الآداب: ١٣٤/٤، ١٣٥. دَرْج الغُرر: ص٧١.

ومن نماذج ذلك– أيضا– قوله يذم الزمان: "وأذمُ زمانا يفرَّقُ فلا يحسن جمعا، ويُخَرِّق فلا ينوي رَقْعا... جائر الحُكْمِ فلا يميلُ إلى إنصاف، وكم أَسْتَعْدِي على صَرْفِه وأستَنْجِد، وأتلَظَّى غيظا عليه وأُنشد: (من الطويل):

متى وعسى يَثْني الزمانُ عِنَانَه بعَثْرَةِ حالٍ والزَمانُ عثُورُ
فتُدْرَكَ آمال وتُقْضَى مآرِبٌ وتحدُث من بعد الأُمور أُمور(١)

وكَلا، فما على الدهر عَتْب، ولا له على أهْلِه ذَنْب؛ وإنما هي أقدار تَجْري كما شاء مُجْرِيها، وتَنْفُذ كالسهام إلى مَرَاميها"(٢).

الشعر كفيل بإثبات غرض الكاتب، وترسيخ فكرته، والتأكيد عليها، وقد جاء موافقا لغرضه، متسقا مع النثر في رسم صورة الزمان الذي يشتت الشمل، ويباعد بين الأحبة، ويأتي على الناس بجوره ومصائبه، والكاتب يتمنى أن تهدأ وطأة الزمان، فيدرك آماله، ويحقق مآربه، وقد أتى الشعر على هذه المعاني فحققها.

إننا نجد المعاني متلاحقة متتابعة، والأفكار متحدة متماسكة، والصورة واضحة محكمة، فلا نشعر بتكلف أو إقحام للشعر بين النثر، وإنما نرى التواؤم التام، والتماسك الذي يفضي في النهاية إلى توافق اللفظ مع المعنى، وتلاؤم الشكل مع المضمون، ناهيك عن أثر الشعر في إيقاظ المتلقي وشد انتباهه، وهو شاهد صدق على براعة الكاتب في تطويع النص الشعري لخدمة غرضه.

إن توشيح الرسالة بالشعر يرتبط بإبداع الكاتب وخصوبة خياله، وقوة تصويره، وقدرته على تصريف الشعر في مكانه المناسب من الرسالة، فهو لا يسترفده لمجرد التنميق أو التزيين، وإنما يضفي عليه دلالات وظلالا تثري الرسالة بما يحقق الهدف من استرفاده سواء كان هدفا فنيا، أو موضوعيا، أو كليهما معا(٣).

ثالثا - حل المنظوم

ويتصل باستعانة الكاتب بالشعر في رسالته ما يعرف بحل المنظوم أو نثر المنظوم، حيث يتجه الكاتب إلى حلّ البيت الشعري أو جزء منه ونثرِه، وبثه في تضاعيف رسالته، والتمثل بمعناه.

والحل "هو أن يعمد الكاتب إلى الأبيات من الشعر ذواتِ المعاني فيحُلَّها من عُقُلِ الشعر ويسْبُكها في كلامه المنثور"(٤). وقد رأى الكلاعي أن حلَّ المنظوم ونثره "طريقةٌ للكتَّابِ

---

(١) قالهما الفضل بن الربيع مع اختلاف في الرواية. ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق: د. إحسان عباس ٣٨/٤ ، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م.
(٢) زهر الآداب: ٢٣٦/٢، ٢٣٧. دَرْج الغُرر: ص٦٥، ٦٦.
(٣) ينظر نماذج أخرى: زهر الآداب: ١٣٥/٤. دَرْج الغُرر: ص٧٢. يتيمة الدهر: ٤١١/٤.
(٤) صبح الأعشى: ٢٨١/١ .

أنيقةٌ"(١)، وهذا دليل براعة الكاتب وإجادته. والحلُّ يُغير من دلالة الأبيات في سياقها الجديد، ويُلبِسها ثوبا قشيبا، وتَبقى الدِّلالة القديمة للبيتِ الشعريّ تُناوشُ الذهنَ، ومن ثم نرى ازدواجية الدلالة مما يكون له أثر لا ينكر في إثراء المعنى، وتعميق الفكرة(٢).

ومن نماذجه قول الميكالي: "صدر كتابه عن ود سليم الوِرْدِ والصَّدَر، فسرحتُ طرفي منه في نزهة تقسم الحسن بين القلب والبصر، وروضة دبجها صوب القرائح والفكر، كأنما نَشرت أيدي الربيع عليها ثوبا من الحِبَرِ"(٣).

فالكاتب هنا قد نثر شعرا لأبي فراس الحمداني وهو قوله:

وَوَارِدٍ مُـــــوردٍ أُنْـــــساً، يُؤكّـــــدُهُ صُـــدُوره عَـــنْ سَـــلِيمِ الـــوِرْدِ وَالـــصَّدَرِ
شـــدتْ ســـحائبهُ منـــهُ علـــى نـــزهٍ تقـــسّمَ الحُـــسنُ بَـــينَ الـــسّمعِ وَالَبَـــصَرِ
عذوبـــة صـــدرتْ عـــنْ منطـــقٍ جـــددٍ كالمـــاءِ يخـــرجُ ينبوعًـــا مـــنَ الحجـــرِ
وروضـــةٌ مـــنَ ريـــاضِ الفكـــرِ، دبَّجهـــا صـــوبُ القـــرائحِ لا صـــوبٌ مـــن المطـــرِ
كَأنّمَـــا نَـــشَرَتْ أيْـــدِي الرّبِيـــعِ بهَـــا بُـــردًا مـــن الوشـــيِ أو ثوبًـــا مـــن الحِبَـــرِ(٤)

والحل يكشف عن مقدرة الكاتب وبراعته الأدبية إذ استطاع أن يحل معقود هذا الشعر، في صورة النثر، وهو يوحي بمدى بهجته بكتاب صاحبه، وإعجابه به وأثره في نفسه، فألفاظه أنوار، ومعانيه كما تنفست الأسحار، فجاء أحسن من روض الربيع، قد فاح عطره، وفاض نشره.

ومن ذلك قوله محذرا من الدنيا وزينتها: "فاحذرها كل الحذر ... إن وصلت قطعت، وإن أعطت ارتجعت، وإن أمتعت فجعت، عرس لا يأمن البعل نشوزها وعنادها... فهي أخون لبعلها من المومس، وأعدى على أهلها من السبع المفترس، وأخدع من كِفِّةِ الحابِلِ، وأسرع انتقالا من الظل الزائل"(٥).

قوله:(فهي أخون لبعلها من المومس...الخ) من قول المتنبي:(من المتقارب)

فـذي الـدار أخـون مـن مـومس وأخـــدع مـــن كِفَّـــةِ الحَابِـــلِ(٦)

والحل هنا يكشف عن حقيقة الدنيا، ويوحي بتقلبها، فلا دوام لها على حال، إذا أحسنت يوما أساءت ضحى غد، سُرُورُهَا هَمٌ، وصَفوُ نعيمها كَدَرٌ وغمٌ، وحَبلُ وِصَالهَا مَقْطُوعٌ، فعلى

(١) إحكام صنعة الكلام: ص ١٤٤.
(٢) ينظر: رسائل القاضي الفاضل دراسة تحليلية: د.محمد عبد الرحمن عطا الله، ص٣١٤، دار الحضارة، طنطا ٢٠٠٠م.
(٣) مخزون البلاغة ص٩١. وينظر هامش ص٩٢.
(٤) ديوان أبي فراس الحمداني، شرح: د.خليل الدويهي ص١٨٦، ١٨٧، دار الكتاب العربي، بيروت، الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
(٥) مخزون البلاغة ص ٤٥٧، ٤٥٨.
(٦) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ١٦٢/٣. المومس: الفاجرة، كفة الحابل: شبكة الصائد.

العاقل ألا ينشغل بها، ولا يلهث خلفها، وقد جاء الحل موافقا لغرض الكاتب، فنيا يشد من أزر الفكرة، ويقوي المعنى، ويوضح الصورة.

إن حل الشعر دليل مقدرة الكاتب وبراعته الأدبية؛ قيل للعتابي يوما: "بماذا قدرت على البلاغة؟ فقال: بحل معقود الكلام"(١). فالشعر -كما يقول ابن طباطبا- رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول"(٢).

رابعا - توظيف الشخصية التراثية

الشخصية التراثية من المصادر المهمة التي تعمق المعنى وترسخ الفكرة، سيما إذا وظفت توظيفا فنيا يتلاءم مع السياق، ويضفي على المعنى دلالات وظلالا وإيحاءات لا تظهر إلا بتوظيف هذه الشخصية، فتوضح الصورة وتثريها، وتعمقها وتنمّيها.

وقد وفق الميكالي في توظيف الشخصية التراثية التي استلهمها واستعان بها في تحقيق غرضه، ومن ذلك قوله:"لست أدري سبب عتبك، فأتوب إليك توبة سحرة فرعون، وأخلص وأعتذر إليك اعتذار النابغة إلى النعمان، وأبلغ وأخضع لك خضوع المعزول للوالي، بل خضوع الجَرِب للطالي"(٣).

وظف الكاتب شخصيات سحرة فرعون وتوبتهم بعدما عرفوا الحق، وشخصية النابغة واعتذاره إلى النعمان، والاستدعاء هنا استدعاء بالعلَم والموقف معًا، فوظف الشخصية وما أثر عنها من فعل ليؤكد لمخاطبه أنه باق على مودته، متمسك بصحبته، ولو علم سبب عتابه لتاب عما بدر منه، واعتذر، وكان لهذا التوظيف أثره في تأكيد المعنى، وتكثيف الفكرة وترسيخها، وإثراء الصورة.

ومن ذلك قوله أيضا: "وصل كتابه مُوشَّحا بغُرَرِ ألفاظ لو أُعيرت حليتها لعطلت قلائد النحور، وأبكارِ معان لو قُسِّمَتْ حلاوتها لأعذبت موارد البحور، فلم أدْر... أدهَتْني بها نَشْوَةُ راح، أم ازْدهَتْني لها نغمةُ ارتياح، وانتظم عندي منها عِقد ثَناء وقَريض، أم قَرَع سَمْعِي منها غناء مَعْبَدٍ وغَريض؟"(٤).

يكشف الكاتب عن قيمة هذا الكتاب -المرسل إليه- في نفسه، وقدر صاحبه عنده، وقد استعان بشخصيتي معبد وغريض- وكانا حسني الصوت في الغناء- ليدل على أثر هذه

---

(١) عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق:د.عبد العزيز بن ناصر المانع ص١٢٧، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

(٢) السابق: ص١٢٧. وينظر نماذج أخرى لحل المنظوم: يتيمة الدهر: ٤١٢/٤، ٤١٣. مخزون البلاغة ص٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٠٧، ١١١، ١١٦ .

(٣) يتيمة الدهر: ٤١٨/٤ . مخزون البلاغة ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٤) مخزون البلاغة: ص١٢٧، ١٢٨، زهر الآداب: ١٦٢/١. دَرْج الغُرر: ص٦١، توفي معبد ١٢٦هـ. وتوفي الغريض٩٥هـ.

الرقعة في نفسه، فهي أمتع وأوقع في سمعه من غنائهما، ويؤكد بلاغة الكِتاب ودقته، وحسن ألفاظه وحلاوتها.

وواضح أن الكاتب يستدعي من الشخصيات ما يراه مناسبا للموقف الذي يعالجه، والفكرة التي يلح عليها، بما يضفي على المعنى ثراء، وعلى الفكرة عُمقًا وأصالة، وعلى تصويره صدقا وواقعية، ويعكس ثقافة الكاتب وسعة اطلاعه على التراث(١).

خامسا- الترادف

هو من الوسائل الأسلوبية البارزة في رسائل الميكالي؛ فيأتي بكلمتين أو أكثر تشترك في الدلالة علي معني واحد، لتأكيد المعنى وتوضيحه وإثباته في ذهن المتلقي، ومن نماذجه قوله: "حتى لقد امتلأت بذكرِه المحافلُ، وسارت بخبره الركْبَان والقوافل، وصارت الألسِنةُ على الشكر والثناء لسانا، والجماعة على النَّشْرِ والدعاء أنصارا وأعوانا، على أنه وإن بالغَ في هذا الباب، وجاوزَ حَدَ الإكثار والإسهاب، نهايتُه القصورُ دون واجبه، والسقوطُ عن أدنى درجاته ومَرَاتبه(٢).

الترادف واضح بين:(الركبان/القوافل)، (الشكر/الثناء)،(النشر/الدعاء)،(أنصارا/أعوانا)،(الإكثار/الإسهاب)،(درجاته/مراتبه) وهو يكشف عن مكانة المخاطب في نفس الكاتب، ومدى تقديره لنعمته، وشكره إياه على عطاياه الجليلة، كما يكشف عن استقصاء الكاتب للمعنى وإتيانه عليه من كل جوانبه.

ومنه قوله: "لا زالت الأَيام تَزِيدُ رُتْبَتَه ارتفاعا، وباعَه اتَساعا، وعزَتَه غلبةً وامتناعا، فلا يبقى مجدٌ إلا شيَّدَتْه معاليه ومكارِمُه، ولا ملك إلا افْتَرَعَتْهُ صرائِمُه وصوَارِمُه"(٣).

الترادف بين:(غلبةً/امتناعا)، (معاليه/ مكارِمُه)،(صرائِمُه/ صوَارِمُه) يكشف عن علو منزلة المخاطب وارتفاع مكانته، كما يوحي بشدته وقوته، وحسن تدبيره للأمور.

وقوله من رسالة تعزية: "مصيبة طرقت بالمخاوف والأوجال، وطرقت شرب الأماني والآمال، وأعادت سرب العيش نافرا، ووجه الحزن سافرا"(٤).

الترادف بين:(المخاوف/الأوجال)، (الأماني/الآمال)، يكشف عن خطر مصيبة الموت وأثرها في النفوس، فهي تقتل الآمال، وتميت القلوب، وتذيب الأكباد، كما يوحي الترادف بشدة الرزء، وفداحة الخطب.

---

(١) ينظر نماذج أخرى: مخزون البلاغة ص٩٠، ١٠٤، ٢٥٨، ٢٧٢ ، ٢٨٣، ٣٣٢. يتيمة الدهر: ٤/٤١٠، ٤١٣، ٤١٤، ٤/٤١٧ .

(٢) زهر الآداب:٢/٥٦. دَرْج الغُرر:ص ٦٧، ٦٨.

(٣) زهر الآداب: ٤/١٣٣ . دَرْج الغُرر: ص ٦٩. مخزون البلاغة ص٤١٢.

(٤) يتيمة الدهر: ٤/ ٤٢٣.

إن الترادف – معنويا كان أو لفظيا– له دوره في استقصاء المعنى، واستنفاده، فالكاتب يجري وراء المعنى ليحيطه من جميع جوانبه، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة تتصل به إلا أحصاها، تأكيدا لمعانيه، وترسيخا لأفكاره، ونماذج الترادف عند الميكالي كثيرة(١).

سادسا - التشخيص والتجسيد

من الوسائل التصويرية التي تضفي على تصوير الكاتب الحركة والحيوية، وتبعث فيه الحياة، وتزيد المعنى وضوحا، والفكرة رسوخا: التشخيص والتجسيد، حيث نرى– في هذه الرسائل– الرماح تنطق، والسيوف تبطش، والأعلام تخفق. والقدر يسر ويسيء. والدهر يفرق ويشتت. والموت ينهب، ويصرم الآمال. والزمان يفرق، ويبدل، ويغير...الخ.

وتتجلى أهمية الصورة في تجسيد المعنويات، وتقريب المعنى وتوضيحه، وتمكينه في ذهن المتلقي، فضلا عن التأثير القوي فيه(٢). لذا كان التشخيص والتجسيد من وسائل التصوير المهمة الكاشفة للمعنى، المؤكدة للفكرة، الباعثة في التصوير الحركة والحيوية والإثارة، والمتعة الفنية.

من نماذج التشخيص قوله:"إذا عبأ للغزو كتائبه، وأخرج نحو العدا مضاربه، خفقت بنصره الأعلام، ونطقت وراء رماحه الأقلام"(٣).

شخص الكاتب الأعلام فهي تخفق، والأقلام تنطق، والتشخيص هنا يكشف عن خطر الموقف، وشدة البأس، ويشف عن شجاعة الممدوح وحسن تدبيره، وقد منح الصورة قدرا من التأثير والحركة، وله أثره البيّن في الكشف عن التجربة، وصبغها بالحيوية والثراء الفني(٤).

ومن نماذج التجسيد قوله من رسالة تعزية: "فلقد عاش نبيه الذكْر، جليلَ القَدْرِ، عَبِقَ الثناء والنَشْر... حتى إذا تسنَّم ذِرْوَة الفضائل والمناقب، وظهرت محاسنُه كالنجوم الثواقب، اختطفته يد المِقْدَار، ومُحِيَ أثره بين الآثار، فالفضل خاشعُ الطَّرْفِ لفَقْدِه، والكَرَمُ خالي الرَّبْع من بعده، والحديثُ يندبُ حَافِظَه ودَارِسَه، وحُسْنُ العهد يبكي كافله وحارسه"(٥).

الكاتب يشيد بالمتوفَّى، ويمجده، ويعدد فضائله، معبرا عن حزنه وأسفه، وأثر فقده على ذويه ومحبيه، وقد جسد المعنويات وجعلها محسوسة: (فالفضل خاشع، والكرم خالٍ، والحديث يندب، وحسن العهد يبكي)، والتجسيد هنا يكشف عن هول الموقف، وفداحة الرزء، وخطر المصاب، ويؤكد سمو منزلة المتوفَّى، وعلو قدره، ويوحي بحزن الكاتب وتألمه.

---

(١) ينظر نماذج أخرى للترادف: مخزون البلاغة ص١١٤، ١٢٧ ،١٥١ . زهر الآداب: ١٣٣/٤، ١٣٥، ٢٥٧، ٢٥٨. دَرْج الغرر: ص٦٩، ٧٦. وغيرها.

(٢) ينظر: فن الشعر: د.إحسان عباس، ص ١٩٣، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م.

(٣) يتيمة الدهر: ٤٢٥/٤. تاريخ العتبي: ص ٢٦٥.

(٤) ينظر نماذج أخرى: يتيمة الدهر:٤١١.

(٥) زهر الآداب: ٢٥٨/٤ . دَرْج الغُرر: ص ٧٧.

وقوله من رسالة في الفصد: "فحمدت الله- تعالى- على ما ألهمه من الصنع الذي أبكى سُقْمَه بدمه، وأضحكَ العافيةَ في جسمه، وصفاه من فضل كدر كان الصواب في نقصه وإخراجه، والسكون في تحريكه وإزعاجه"(١).

جسد الكاتب السقم فجعله يبكي، وجعل العافية تضحك، وهذا التجسيد يكشف عن حال المخاطب بعد إخراج الدم الفاسد من جسده، فقد ولي من جسده السقم خاسئا مدحورا، وأظلته العافية بظلالها فأضحى في بهجة وحبورا.

إن التشخيص والتجسيد(٢) لهما أثرهما الواضح في تأكيد المعنى، وترسيخ الفكرة، وجعل الصورة ثرية، حافلة بالحركة، تعج بالحياة، كما لهما أثرهما في الكشف عن براعة الكاتب ودقته في التصوير.

سابعا - الألوان البديعية

برزت في القرن الرابع الهجري الألوان البديعية من سجع وجناس وطباق وغيرها من ضروب البديع المختلفة، حتى صارت صناعة فنية أصيلة قصد من ورائها تجميل العبارة وزخرفة الأساليب، وكان التزام الكتاب بهذه الطريقة دليل على براعتهم الفنية(٣).

وقد برزت هذه الألوان في رسائل الميكالي، فقد استعان بها لإضفاء نوع من الجمال الفني على الأسلوب، وتحسين العبارة، وزيادة التنغيم الموسيقي، سيما إذا كانت قليلة، عفوية بعيدة عن التكلف، تلائم المعنى، وترسخ الفكرة.

من الألوان البديعية التي برزت في رسائله: السجع؛ فقد وجدنا الميكالي يركز عليه تركيزا واضحا في رسائله "فقلما تخلو فقرة من توظيف هذا المحسن البديعي"(٤). ومن النماذج الذي أدى فيها السجع دورا مهما في إيضاح المعنى، وتأكيد الفكرة قوله من رسالة يصف كتابا ورد إليه: "رأيتُ ما يُحَيِّر الطَّرْف، ويُعْجِز الوَصْفَ، ويَعْلُو على الأول مَحَلا ومكانا، ويفوقه حسنا وإحسانا، فرتَعْتُ كيف شئتُ في رياضِه وحدَائِقه، واقتبست نُورَ الحِكَم من مطالعه ومَشارقه، وسلّمت لمعانيه وألفاظه فضيلةَ السَبق والبَرَاعةِ، وتلقيتها بواجبها من النَشرِ والإذاعة؛ فإنها جمعت إلى حسْنِ الإيجاز، درجةَ الإعجاز، وإلى فضيلة الإبداع، جلالةَ الموقع في القلوب والأسماع"(٥).

---

(١) مخزون البلاغة ص ٤٢٧.

(٢) ينظر نماذج أخرى للتجسيد: مخزون البلاغة ص٥٤١، ١٤٢، ٥٤٣، زهر الآداب:١٢٤/٣، ١٢٥.دَرْج الغُرر: ص ٧٤، ٧٥.وغيرها.

(٣) ينظر: بلاغة الكتاب في القرن الرابع الهجري: دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب، د. محمد نبيه حجاب ص١٦٦، القاهرة، الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٤) مخزون البلاغة ص ٢٩.

(٥) زهر الآداب: ١٦٦/١. دَرْج الغُرر: ص٦٤، ٦٥.

إن هذا الكتاب من أبدع الكتب، وأعلاها بلاغة وبراعة بألفاظه ومعانيه، وقد راح الكاتب عن طريق السجع بين الفواصل:(الطَّرْف/الوَصْفَ)،(مكانا/إحسانا)، (حدَائِقه/مَشارقه)، (البَرَاعةِ/الإذاعة)، (الإيجاز/الإعجاز)،(الإبداع/الأسماع)- فضلا عما بينها من جناس ناقص- راح يشبع هذه الفكرة ويجليها، فهو يؤكد إعجابه بهذا الكتاب ومكانته في نفسه، فقد فاق حد الإيجاز والإعجاز، وحقق المراد، فسطعت شمسه، وفاح عطره ونشره، حتى تعلقت به الرواة، وتعطرت بعبقه السراة(١).

والجناس من الألوان البديعية التي تنتشر في رسائل الميكالي. ومن النماذج التي اعتمد فيها الكاتب على الجناس في إبراز معانيه وتأكيدها قوله: "وصل كتابُ مولاي ... بما لم تزل الآمال تتنسَّم روائحه، وتترقّب غاديَ صُنْع اللّه فيه ورائحَه، واثقةً بأنّ عادةَ اللّه الكريمة عنده تُسَايره وتُرافقه، وتلزم جنابه فلا تُفارِقه... فعددْتُ يوم وُرودِهِ عيدا، أعاد عهد السُّرور جَدِيدا، وردَّ طَرْفَ الحسود كليلا وقد كان حَدِيدا، ولم أُشَبِّهْهُ في إهداء الرَّوح والشفاء، وتلافي الرُّوح بعد أن أشْفَى على المكروه كل الإشفاء، إلا بقميص يوسف حين تلقّاه يعقوبُ عليه السلام من البشير، وألقاه على وجهه فنظر بعَيْنِ البصير، فكم أوسعتُه لثما واستلاما، والتقطت منه بَرْدا وسلاما"(٢).

يكشف الكاتب عن بهجته وسروره بهذا الكتاب، وقد راح مستعينا بالجناس يؤكد هذه المعاني: فالجناس بين:(روائحه/ ورائحَه)، (تُرافقه/ تُفارِقه)-فضلا عما بينهما من طباق- (جَدِيدا/ حَدِيدا)،(الشفاء/الإشفاء)، (البشير،البصير)،(استلاما/سلاما) له دوره في رسم شدة شوقه، ومدى حبه وحنينه لصاحب الكتاب، ويكشف عن ابتهاجه بقدومه، وهو يشيع في الرسالة معاني البهجة والسعادة، وقد جاء طيعا مناسبا، وأكد المعنى وزاده وضوحا، وأضفى علي أسلوب الكاتب بهاء وجمالا، وموسيقى وإيقاعا(٣).

ومن الألوان المعنوية التي اتكأ عليها الميكالي في رسائله بصورة واضحة الطباق؛ فله دوره المؤثر في الكشف عن المعنى، وإبراز الصورة بما يحدثه من الضدية التي تقع بين الألفاظ، فتثير القارئ وتفاجئه، وتجذب انتباهه.

وقد بدا الطباق واضحا في رسائل الشكوى والتعزية حيث يشكو الكاتب من تقلبات الدهر، وحوادث الأيام، فيستعين بالطباق كوسيلة للتعبير عما يدور في خلده، ويكشف عما في نفسه،

---

(١) ونماذج السجع كثيرة، ينظر-على سبيل المثال-: مخزون البلاغة ص١٢٩، ٢٩٣، ٣٩٦. درج الغرر: ص٦١، ٦٢، ٦٣، وغيرها، زهر الآداب: ١/١٦٢، وغيرها.

(٢) زهر الآداب: ١/١٦٥، ١٦٦. دَرْج الغُرر: ص٦٤ .

(٣) ينظر نماذج أخرى للجناس: دَرْج الغُرر: ص٦٢، ٦٣، ٦٧، ٧٥، ٧٨. زهر الآداب: ١/١٦٢- ١٦٥، ٢/ ٢٣٨، ٣/١٢٣-١٢٥. يتيمة الدهر: ٤/٤١٠، ٤١٢، ٤١٣، وغيرها.

ومن نماذجه قوله: "أقدارُ الله تعالى في خلقِه لم تَزَلْ تختلفُ بين مكروه ومحبوب، وتتصرَّفُ بين مَوْهوب ومسلوب... ولكنَّ أحسنَها في العيونِ أثرا، وأطيبَها في الأسماع خبَرا، وأَحْرَاها بأن تَكْسِبَ القلوبَ عزاءً وتصبُّرا، ما إذا طَوَى نَشَر، وإذا نعى بشَّرَ، وإذا كسر جبر، وإذا أخذ بيد رد بأخرى، وإذا سلب بيُمنى وهب بيُسرى، كالمصيبة بفلان التي أقرَحَتِ الأكباد، وأوهنتِ الأعضاد، وسودت وجوهَ المكارم والمعالي، وأعادت الأيامَ في صُور الليالي"(١).

الله سبحانه هو الذي يعطي ويمنع، ويَهَبُ وينزع، ويحيي ويميت، ويبتلي عباده ليمحصهم، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وقد بسط الكاتب فكرته هذه مستعينا بالتضاد بين:(مكروه/محبوب)،(مَوْهوب/ مسلوب)، (طَوَى/ نشر)،(كسر/جبِر)،(أخذ بيد/ رد بأخرى)،(سلب بيمنى/وهب بيسرى)، (الأيام/الليالي) ليؤكد أن الدهر متقلب، والأقدار لا تجري على طريقة واحدة، والأوْلى بالمرء الصبر والتفويض، والرضا والتسليم.

وواضح أن التقابل هنا إلى جانب كونه حلية لفظية، قد أدى دوره في توضيح المعنى، وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي، وهي التسليم والرضا بقضاء الله– تعالى– والحض على الصبر والاحتساب، سيما إذا علم المصاب أن الأمر كله بيد الله–تعالى.

إن اللون البديعي في رسائل الميكالي ليس حلية فحسب، وإنّما يُعد لبنة فنية تتآزر مع غيرها من لبنات العمل الفني لتكوين الصورة، مما يزيد المعنى جلاءً ووضوحًا، والفكرة قوة ورسوخًا، وتضفى على الأسلوب رونقا وجمالا. والنماذج كثيرة(٢)، تؤكد استعانة الميكالي باللون البديعي في التعبير عن معانيه، وترسيخ أفكاره.

(١) زهر الآداب: ٣/١٢٤، ١٢٥. دَرْج الغرر: ص ٧٤، ٧٥ .

(٢) ينظر نماذج أخرى للطباق: مخزون البلاغة ص١٢٩، ١٣٨، ١٦٢، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٧. زهر الآداب:٢ /٢٣٧، ٢٣٨. دَرْج الغُرر: ص٦٨، ٦٩.وغيرها.

خاتمــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وبعد: فقد انتهى البحث إلى النتائج التالية:

- إن رسائل أبي الفضل الميكالي قيمة فنية، وزاد أدبي ثري، وفيها من المعاني البارعة، والأفكار الناصعة، والصور الفاتنة البديعة، ما يشهد له بالبراعة، والتمكن من الصناعة.
- تنوعت أغراض رسائل الميكالي بين وصف الكتب الواردة إليه، والشوق والحنين، والثناء والشكر، والشكوى وذم الزمان، والتهنئة، والتعزية، والهجاء، والعتاب، وغيرها من الموضوعات. وجاءت تجربته الفنية بمعانيها وأفكارها وصورها معبرة عن شعوره وأحاسيسه، متوائمة مع الجو النفسي الذي يعيشه، ملتحمة به، مفضية في النهاية إلى تعانق الأفكار مع المعاني، وتآزر الشكل مع المضمون، والسمو بالتجربة إلى أعلى درجاتها الفنية.
- التنوع في البدء والختام من سمات رسائل الميكالي؛ إذ لم يلتزم ببداية معينة أو خاتمة بعينها، وإنما نوع في البدء والختام، وهذا التنوع لم يكن الغرض منه مجرد التلوين في الكتابة، وإنما هدف من ورائه إلى توظيف عناصر البدء والختام توظيفا فنيا يتناسب مع السياق العام، ويخدم المعنى، ويرسخ الفكرة، ويساعد على إبرازها، بما يقع من المتلقي موقع القبول والتأثير، والإقناع.
- عمد الميكالي إلى الوسائل المنوعة، وأنماط التصوير المختلفة في التعبير عن أفكاره، والكشف عن معانيه، وتصوير مشاعره، فاستعان بالقرآن الكريم، ووشح رسائله بالشعر الذي يناسب الغرض ويحقق الفكرة، كما وظف الشخصية التراثية، واستعان بالترادف، ولجأ إلى التشخيص والتجسيد، والألوان البديعية كالسجع والجناس والطباق، وقد استطاع أن يوظف هذه الوسائل في التعبير عن عواطفه وانفعالاته، والكشف عن معانيه وأفكاره، بغية تأكيد المعنى وتحقيقه، وإقناع المتلقي والتأثير فيه.

والحمد لله أولا وآخرا، وصلَّى اللهُ – تعالى– على سيدنا محمد وآله.

ما بقي من رسائل الميكالي (جمع وتوثيق)

أولا- في وصف الكتب والرسائل الواردة إليه.

فصل له: "وقفتُ على ما أتحفني به الشيخ: من نَظمِه الرائق البديع، وخَطه المُزْري بزهر الربيع، مُوشَّحا بغُرَرِ ألفاظ، لو أعِيرت حِلْيَتُها لعطَّلَت قلائد النحور، وأبكارِ معان لو قُسمت حَلاَوتها لأعْذَبَتْ مَوَارِدَ البحور، فسرَحْتُ طَرْفي في رياضٍ جادتْها سحائبُ العلوم والْحِكم، وهبَّ عليها نسيمُ الفضل والكرَم، وابتسمَتْ عنها ثغورُ المعالي والهِمَم، فلم أدرِ وقد حيرَتْني أصنافُها، وبهرتني ثغورُها وأوصافها، حتى كستْني اهتزازا وإعجابا، وأنشأت بيني وبين التماسك سِتْرا وحجابًا، ولم أدْرِ أدهَتْني بها نَشْوَة راح، أم ازْدهَتْني بها نخوة ارتياح، وانتظم عندي منها عِقد ثَناء وقَريض، أم قَرَع سَمْعِي منها غناء مَعْبَدٍ وغَريض، وكيفما كان فقد حَوَى رتبة الإعجاز والإبداع، وأصبح نزهة القلوب والأسماع، فما من جَارِحةٍ إلا وهي تودُ لو كانت أذنا تلتَقط دررَه وجواهره، أو عينا تَجْتَلي مطالَعه ومناظره، أو لسانا يَدْرُس محاسنَه ومفاخره"(١).

وله فصل: "وصل كتابُ مولاي وسيدي، أبْدَع الكتب هَوَاديَ وأعجازا ، وأبرعها بلاغةً وإعجازا، فحسِبْت ألفاظَه دَرَ السحاب، أو أصفى قطرا ودِيمة، ومعانيه دُرّ السخاب، بل أوفى قدْرا وقيمة. وتأمّلتُ الأبياتَ فوجدتها فائقةَ النظْمِ والرَّصْفِ، عَبِقَة النسيم والعَرف، فائزة بقدَاح الْحسْن والظَّرْف، مالكةً لِزمام القَلْبِ والطرْف؛ ولا غَرْوَ أن يصدر مثْلُها عن ذلك الخاطر، وهو هَدَف الفقَر والنوادر، وصَدَف الدرر والجواهر، واللّه يُمَتعُه بما منحه من هذه الغُرَر والأوضاح، كما أطلق فيه ألسنة الثناء والامتداح"(٢).

وله فصل من رسالة: "وكان فرطُ التعجب مَرَّة، وعِظَمُ الإعجاب تارة، يقفُ بي عند أول فصل من فصوله، ويثبّطني عن استيفاء غُرَره وحُجُوله، ويُوهمني أنَّ المحاسنَ ما حَوَتْه قلائدُه، ونَظمته فرائدُه؛ فليس في قوس إحسان وراءها مَنْزَع، ولا لاقتراح جَنَان فوقها مُتطلَّع، حتى إذا جاوزته إلى لفظه وتَزْيِينه، وأجَلْتُ فكري في نُكتِه وعُيونه، رأيتُ ما يُحَيِّر الطَّرْف، ويُعْجِز الوَصْفَ، ويَعْلُو على الأول مَحَلا ومكانا، ويفوقه حسنا وإحسانا، فرتَعْتُ كيف شئتُ في رياضِه وحدَائِقه، واقتبست نُورَ الحِكَم من مطالعه ومَشارقه، وسلّمت لمعانيه وألفاظه فضيلةَ السَبق والبَرَاعةِ، وتلقيتها بواجبها من النَشرِ والإذاعة؛ فإنها جمعت إلى حسْنِ الإيجاز درجةَ الإعجاز، وإلى فضيلة الإبداع جلالةَ الموقع في القلوب والأسماع"(٣).

فصل:"وصل كتابك فكان أحسن من روض الربيع، وريط الوشي الصنيع، فلقيته بحلبة الإحسان والإبداع، وحيلة النواظر والأسماع، ومسنّ الخواطر والطباع، وصيقل الأفكار

---

(١) دَرْج الغُرر ودُرْج الدرر: ص٦١. زهر الآداب: ١٦٢/١. وفيه: (فصل كتبه الأمير أبو الفضل الميكالي إلى أبي القاسم الداوودي جوابا عن كتاب له ورد عليه). سفينة الصالحي١٤٧/٢.

(٢) زهر الآداب: ١٦٣/١. دُرْج الدرر: ص٦٢. في زهر الآداب: (وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي). وهو فصلين منفصلين في درج الغرر. سفينة الصالحي١٤٧/٢.

(٣) دَرْج الغُرر: ص٦٤، ٦٥. زهر الآداب: ١٦٦/١ .

والألباب، وعيار المعارف والآداب، واجتليت منه تميمة فضل، ويتيمة مجد، وثمينة عقد، ولطيمة خلق، وغنيمة برّ، يجلو صفحة العهد، ويجيل قدح الأنس، ويجلّ عن قدر الشكر، كلام أعذب من فرات المطر، وأعبق من فتات المسك والعنبر، يزري بنور الخمائل، وقد عطّرتها أنفاس الشمائل"(١).

فصل إلى أبي سعد بن خلف الهمذاني: "وصل كتابُه متحملا من أخبار سلامتك، وآثارِ نعمِ اللّه بساحتك، ما أدى روحَ البَرِّ ونسيمه، وجمع فنونَ الفضل وتقاسيمه، ومجدَدا عندي من عمر مواصلته، ومعسول كلامه ومحاوَرته، ما ترك غُصنَ المِقَة غضا تروق أوْراقه، ووَجْهَ الثقة طَلْقا يتهلّلُ إشراقه، فكم جنيت عنه من ثمر مَسَرّة كانت عوائقُ الأيام تُجاذُبنِيهِ، وحويت به من عِلْق مَضنَّة قلما يجود الدهر بمثله لبنيه"(٢).

وله فصل من كتاب إلى أبي سعد الهمذاني أيضا:"فأمّا التُّحْفَةُ التي شَفعها بكتابه فقد وصلت، فكانت ضَرَّة لزهرِ الربيع، طريفة التقطيع، موفية بحُسْنِ الخطِّ على الوَشْي الصنيع، وليس يهتَدِي لمثل هذه اللطائف في مبرة الإخوان، إلا من يُعَدُّ من أفراد الأقران، ولا يرضَى من نفسه في إقامة شعائِر البرّ دون القران، واللّه يمتّعه بما منَحَهُ من خصائص هي في أذن الزمان شُنُوف، وفي جِيده عقد مرصوف"(٣).

فصل: "وصل كتابُ الشيخ المبشر من خبر سلامته التي هي غُرَّة الزمان البهيم، وعذر الدهر المليم، بما أشرقت له آفاقُ الفَضْلِ والكرم، وتمَت به نفائِسُ الآلاء والنعم، فسرَحْتُ طَرْفي من محاسن ألفاظه، في أنْوار تَرُوق أزاهِرُها، وقلائِدَ تروعُ دُرَرُها وجواهرها، ومَبَار يسترق الرِّقابَ باطنها وظاهرها"(٤).

(ومن الفصول القصار في هذا الباب):(٥) (وصل كتاب الشيخ فَنَشَر عندي من حُلل إفضاله وإكرامه، ومحاسن خطابه وكلامه، ما لم أشبّهه إلا بأنْوَار النُّجُود، وحِبَر البرود، وقلائد العُقُود)(٦). (قلمك ترب البروق ونظيرها، ويدك أم البلاغة وظئرها، وكلامك هو الدر يستغني عن السلك، والإبريز يجل عن السبك، والسحر إلا أنه بريء من الشرك). (كتابك شريعة وردي، ومهب شمالي ومرمى طرفي، ومسرح آمالي، ونجي فكري، وحلم هجودي، وأرض خصبي، وسماء سعودي)(٧).(هو الذي ذلل صعب الكلام وراضه، وأنشأ حدائقه ورياضه، وملأ

---

(١) تاريخ العتبي: ص ٢٦٤. ريط الوشي: ريط جمع ريطة وهي الملاءة: وقيل: كل ثوب لين دقيق. لسان العرب: (ريط).

(٢) دَرْج الغُرر: ص٦٣. زهر الآداب: ١٦٥/١. سفينة الصالحي١٤٩/٢. أبو سعد الهمذاني كان كاتبا شاعرا من الفضلاء. ت٤١٦هـ ينظر: يتيمة الدهر: ٤٧٦/٣. العِلق: الشيء النفيس.

(٣) دَرْج الغُرر: ص٧٨. زهر الآداب: ٢٥٨/٤. سفينة الصالحي٧٣٨/٢.

(٤) زهر الآداب: ١٦٥/١. دَرْج الغُرر: ص٦٢.

(٥) هي فصوص فصول من رسائل، وضعتها بين قوسين، فاصلا بينها بنقطة.

(٦) دَرْج الغُرر: ص٦٥. زهر الآداب: ١٦٧/١.

(٧) يتيمة الدهر: ٤/ ٤١٠، ٤١١، ٤١٢. جمهرة الإسلام: ١٠٤٤/٢.

غدرانه وحياضه، وأصاب شواكله وأغراضه، وعالج أسقامه وأمراضه). (كلام بمثله يستمال قلب العاقل، ويستنزل العصم، من المعاقل)(١).(لكتبه من قلبي موقع القطر من الرائد، والضالة من الواجد)(٢).

ثانيا- ما جاء في الود والشوق والحنين.

وله إلى أبيه: "ولو مَلَكْتُ عِنان اختياري، وأسعفني ببعض ما أقترحه القَدَرُ الجاري، لما غِبْتُ عن حضرته- آنسها الله – ساعةً من دهري، كما لا أعد ساعاتِ بُعْدِي عنها وإخلائي لبابها من أيام عمري؛ ولكنت أبدا ماثِلا بها في زمرة الخدم والعبيد، جامعا بها بين حاشيتي العزّ المديد، والشرف العتيد؛ ولا سيما في هذا الوقت، وقد أشرقت البلاد بنور طلعته التي هي في ظلمة الدَهر صباح، وعزّ مطالعته التي فيها لصدور ذوي الشَّنإ شجًا ولزَنْدِ الآمال اقتداح، ومعاودة ظلّهِ الذي أضْحَتِ الشمسُ من حساده، والزمان من عدد ساكنيه وعتاده، إلاَ أن الحريص- كما علمه مولانا- مُخلىّ عن أعذب موارده، وممنوعٌ بالعوائق عن أكرم مطالعه ومقاصده"(٣).

وله يستفتح مكاتبة بعض إخوانه: "أنا وإن لم تتقدّم بيني وبينه المكاتبة، وعادة المساجلة والمفاوضة، من فرط حِرْصي على افتتاحها وتعاطيها، واعتراض العوائق دون المرادِ والغرض فيها، فإن قلبي بودِّه مَغْمُور، وضميري على مُصَافاته مقصور، فاعتدادُه لفضائله التي أصبح فيها أوْحَدِي العِنَان، وزاحم فيها مَنكِب العَنَان، واستأثر فيها بالغُرَر والأوضاح، ما أوْفى بها على غُرَةَ الصباح، حتى تشاهدَتْ بها ضمائرُ القلوب، وتهادَتْ أنباءَها ألسِنَة البعيد والقريب، اعتدادَ من يَجْمَعُ بالاعتداد لها بين شهادةِ قلبه ولسانه، ومَنْ ينظم في إجلالِ قَدْرِها صفقة إسرارِه وإعلانه، فهو يتنسّمُ الريح إذا هبَّتْ من ناحيته شوقًا ونزاعًا، ويَسْتَمْلي الوارد والصادِرَ خبرَ سلامته انصياعًا بالود إليه وانقطاعا"(٤).

وله إلى بعض إخوانه: "ما ابتدأتُ بمخاطبة سيدي حتى سرَتِ المسرّةُ في نفسي، وقوِيَتْ أركانُ بَهْجَتي وأُنسِي، وحتى أقبَلَتْ وجوهُ الميامن تتهلَّل إلي، وبدَرُ المساعِد تتثالُ عليّ، وكيف لا يملكني الجذَل والفرح، وكيف لا يهزُني النشاطُ والمَرَح، وقد زففْتُ وُدِّي إلى كُفْء كريم، وعرضته لحظٌّ من الجمال جسيم، وأَرجو أَن يرِدَ منه على حُسْنِ قبولٍ وإقبال، ويَحْظَى من ارتياحه له ببُرْدِ اشْتِمَال، ويُصادف من اهتزازِهِ وإنشائه، وعمارته وإنمائه، وتحصين أطرافه من

---

(١) خاص الخاص للثعالبي، شرح. مأمون بن محيي الدين الجنان ص٣٣، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٢) دَرْج الغُرر: ص ٨١. زهر الآداب : ٢/ ٢٣٨ .

(٣) دَرْج الغرر: ص٦٦، ٦٧. وفيه: (فصل إلى الأمير السيد أبي نصر أحمد بن علي). زهر الآداب: ٢٣٧/٢. الشنأ: البغض. الشجا: ما اعترض ونشب في الحلق من عظم ونحوه.

(٤) زهر الآداب: ٢٣٧/٢، ٢٣٨. دَرْج الغُرر: ص ٦٨، ٦٩. العِنان (بكسر العين): ما تقاد به الدابة، والعَنان(بفتح العين): السماء.

شوائب الخلل، وشوائن الوَهن والميل، وما تستحكم به مَرَائر الوِصَال، وتؤمن على قُوَاها عَوَادِي الانتقاض والانحلال(١).

وله فصل:"أنا أسأل الله تعالى أَن يردَّ علي بَرْدَ العيش الذي فَقَدْتُه، وفسحة السرور الذي عَهدْتُه؛ فيَقْصر منِ الفراق أَمدُه، ويعلو للالتقاء حكمه ويَدُه، ويَرْجِع ذلك العهدُ الذي رَقَّت غلائله، وصفتْ من الأَقْذَاء مَنَاهله، فلم أتهنّأ بعده بأُنس مقيم، ولا تعلّقت يوما إلا بعيش بَهيم:(من الطويل)

فلو تَرْجع الأيامُ بيني وبينهُ بذي الأثْلِ صَيْفا مثل صيفي ومَرْبعي

أَشُدُّ بأَعناق النوى بعد هذهِ مرائرَ إن جاذَبْتُهَا لم تَقَطّعِ(٢)

وما على الله بعزيز أن يقرِّبَ بعيدا، ويَهَب طالعا سعيدا، ويُسَهّل عسيرا، ويفكّ من رقّ الاشتياق أسيرا"(٣).

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور الثعالبي:"قرأتُ خبرَ سلامته، فسَرَى السرورُ في الجوانح، واهتزَت النفسُ له اهتزازَ الغُصن تحت البارح:(من الطويل)

أَليس لأخبار الأحبّةِ فرحةٌ ولا فرحة العطشان فَاجأَهُ القَطْرُ

يقولون: قد أَوْفَى لوقتِ كتابهِ فتَنتشر البشرى وينشرِحُ الصَّدْر

ثم سألت الله تعالى أن يحرسَ علينا سلامَته سابغةَ الملابس والمطَارف، موصولة التالِدِ بالطَارِف"(٤).

(ومن الفصول القصار في هذا الباب):(أيام ظل العيش رطب، وكنف الهوى رحب، وشرب الصبا عذب، وما لشرق الأنس غرب)(٥).(حالي في مفارقة حَضْرَته حالُ بنات الماء قد نَضَب عنها الغَدير، ونبات الأرض أخطأها النَوْءُ المطير)(٦).(شوق عابث أقاسيه وأمتنع عنه الصبر فما يواسيه). (قد كمن ودك في قلبي كموت الحريق في العود، والرحيق في العنقود). (أنت لي أخ أثير، والمرء بأخيه كثير). (وأنا أصغي إلى أخبارك إصغاء السماع إلى البشرى، وأعتضد بسلامتك اعتضاد اليمنى باليسرى). (للشوق إليك في قلبي دبيب الخمر، ولهيب الجمر)(٧).

---

(١) دَرْج الغُرر: ص ٦٧. زهر الآداب: ١٢٣/٣. تتثال: تتوالى.

(٢)البيتان لمحمد بن الفضل بن عبد الرحمن، ينظر: معجم الشعراء للمرزباني، تحقيق:عبد الستار أحمد فراج، ص٣٥٢،(س الذخائر)،الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠٠٣م. ذو الأثل: اسم موضع. المرائر: جمع المريرة وهي العزيمة. وطاقة الحبل.

(٣) دَرْج الغُرر: ص٧١. زهر الآداب: ١٣٤/٤، ١٣٥. ذو الأثل: موضع. المرائر: جمع المريرة: العزيمة.

(٤) دَرْج الغُرر: ص٧٢ . زهر الآداب: ١٣٥/٤.

(٥) يتيمة الدهر: ٤١٢/٤. جمهرة الإسلام: ١٠٤٤/٢. الصبا: ريح الشمال الباردة.

(٦) دَرْج الغُرر: ص ٧٥ ، زهر الآداب : ٢/ ٢٣٨. يتيمة الدهر ٤١٤/٤ .

(٧) خاص الخاص ص ٣٣ .

ثالثا- ما جاء في الثناء والشكر

ولأبي الفضل الميكالي من رسالة: "وردَ فلانٌ فتعاطى من شُكْرِه على نعمِه التي ألبسه جمالَها، وأسحَبه أذيالَها، ما لو لم يتحدّث به ناشرا ومُثنيا، ومعِيدا ومُبْديا، لأَثنَت به حَالُه، وشهَدَتْ به رِحَاله، حتى لقد امتلأت بذكرِه المحافلُ، وسارت بحبره الركْبَان والقوافل، وصارت الألسِنةُ على الشكر والثناء لسانا، والجماعة على النَّشْرِ والدعاءَ أنصارا وأعوانا، على أنه وإن بالغَ في هذا الباب، وجاوزَ حَدَ الإكثار والإسهاب، نهايتُه القصورُ دون واجبه، والسقوطُ عن أدنى درجاته ومَرَاتبه"(١).

وله: "إذا لم يُؤْتَ المرءُ في شكر المنعم إلاَّ من عِظَمِ قَدْرِ الإنعام والاصطناع، واستغراقه منه قُوَى الاستقلال والاضطلاع، فليس عليه في القصور عن كُنْهِ واجبه عَتْب، ولا يلحقه فيه نقيصةٌ ولا عَيْبٌ. ولئن ظهر عَجْزِي عن حق هذه النعمة فإني أحِيل بحسن الثناء على من لا يُعْجِزه حمله، ولا يؤُوده ثقله، ولا يزكو الشكرُ إلا لدَيْه، ولا تُصْرَفُ الرغبَةُ إلا إليه، والله يُبقِيه لمجدٍ يقيم أعلامَه، وفَضْل يَقْضِي ذِمَامَه، وعُرْفٍ يَبثّ أقسامه، ووليّ يوالي إكرامه، وعدوٍّ يُديمُ قمعَه وإرْغَامَه"(٢).

وله: "ولو وفيت هذه النعمة الجسيمة حقَّها لمشيت إلى حضرته- آنسها الله تعالى- حَبْوا لا على القَدم، ولآثرْت فيه خدمة اللسان على خِدْمة القلم، ولما رضيت له بباعي القصير، وعبارتي الموسومة بالعجز والقصور، حتى أَستعير فيه ألسِنةً تحملُ شكرا وثناءً، وتوسِعَ نَشْرا ودعاء، ثم لا أكَونُ بلغتُ مبلغا كافيا، ولا أبليت عُذْرا شافيا؛ إلا أنّ عدم الإذن ثَبطني عن مقصودِ الغرض، وعاقَني عن الواجب المفترض؛ فأقمتُ عاكفا على دعاءٍ أرفَعُهُ إلى الله عزَ وجل مبتَهلا، وأواصله مجتهدا في ليلي ونهاري محتفلا"(٣).

وله: "أحقّ النعمة بالزيادة نعمة لم تزل العيون إليها مستشرفة، والقلوب إليها متشوّفة، والأيام بها وَاعِدة، والأقدار فيها مساعدة، حتى استقرّت في نِصَابها، وألقتْ عِصيَّ اغترابها، فهي للنماء والزيادة مترشحة، وبالعز والسعادة متوشحة، وبالأدعية الصالحة مستدامة مرتَهنَة، وباتفاق الكلمةِ والأهواء عليها مرتبطة محصنة"(٤).

وله فصل: "والله يُديم رايةَ الأمير الجليل محفوفةً بالفَلْج والنصر، مكنوفة بالغَلبة والقهْر، حتى لا يزاول خَطْبا إلا تذلّلت به صِعَابُه، ولا يُمَارِس أمرا إلا تيسَّرَتْ أسبابُه، ولا يَرُوم حالا إلا أذْعَن لهيبته وسُلْطانه، وخَضَع لسيفه وسِنانِه، وذلَّ لمعْقد لوائه، ومنثنى عنانه، إلى أن ينالَ من آماليه أَقاصِيهَا، ويَمْلِك من مَبَاغِيه أَزِمَّتها ونواصيهَا، ويُسامِي الثريّا بعلوِّ همته ويناصيها"(٥).

---

(١) زهر الآداب: ٥٦/٢. دَرْج الغُرر: ص ٦٧، ٦٨ .
(٢) زهر الآداب: ١٢٣/٣، ١٢٤. دَرْج الغُرر: ص ٦٨.
(٣) زهر الآداب: ١٢٤/٣. دَرْج الغُرر: ص ٧٢.
(٤) زهر الآداب: ١٢٤/٣. دَرْج الغُرر: ص٧٣.
(٥) زهر الآداب: ١٣٤/٤ . دَرْج الغُرر: ص ٧٠. الفلج: الظفر. مكنوفة: محوطة.

(ومن الفصول القصار في هذا الباب): (لا زالت الأَيام تَزِيدُ رُتْبَتَه ارتفاعا، وباعَه اتَساعا، وعزَتَه غلبةً وامتناعا، فلا يبقى مجدٌ إلا شيَّدَتْه معاليه ومكارِمُه، ولا ملك إلا افْتَرَعَتْهُ صرائِمُه وصوَارِمُه)(١).(أياديه التي غمرتني سِجَالُها، واتسَع عندي مَجالها، وأعيَا شكري عَفْوها وانثِيالها، تناولت فيها المُنَى دانيةَ القطوف، واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف)(٢). (لا زالت حياة الأحرار بفضله متسِمة، ووجوهُ المكارم بغُرَرِ أيامه مبتسمة، وأهواء الصدور بخِدْمة وُدَه مرتسمة، وغنائم الشكر بين محاسن قوله وفعله مقتسمة)(٣).(لكلامه في قلب المصاب موثع الترويح والتنفيس، وفي صدره محل الخلف النفيس)(٤). (هو عار من العوراء، كأس من العلاء، وله الشرف اليفاع، والأمر المطاع، والعرض المصون والمال المضاع، وله النوال السكب، والرأي العضب، ومنه الإباء المرّ والكرم العذب)(٥).(هو واحد البشر، وثاني المطر، وثالث الشمس والقمر، ورابع المسك والعود والعنبر)(٦).(كم أبلاني من عُرْفٍ جزيل لا يُبلِي الدهرُ جدةَ رِدائه، وقضاني من دَيْن تأميل لا يَقْضي الشكرُ حقَ نعمائه).(كيف أنسى زمانا هو أنشأه، أو أنسى إحسانه به وقد أسناه)"(٧).(فوائده لها عندي أثرُ الغَمام أو أنفع، ومحلُّ السِّمَاكِ أو أرفع)(٨).

رابعا- ما جاء في الشكوى وذم الزمان

كتب الأمير أبو الفضل الميكالي إلى أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: "كتابي وأنا أشكو إليك شَوْقا لو عالجه الأعرابي لما صَبَا إلى رَمْل عالج، أو كابَده الخَلِيُ لانثنَى على كَبِدٍ ذاتِ حُرَقٍ ولَوَاعِج؛ وأذمُ زمانا يفرَقُ فلا يحسن جمعا، ويُخَرِّق فلا ينوي رَقْعا، ويُوجِعُ القلب بتفريق شَمْلِ ذوي الْوِداد، ثم يبخلُ عليهم بما يَشْفِي الصدور والأكْبَاد؛ قاسِي القلبِ فلا يلينُ لاستعطاف، جائر الحُكْمِ فلا يميلُ إلى إنصاف، وكم أسْتَعْدِي على صَرْفِه وأستَنْجِد، وأتلَظَّى غيظا عليه وأُنشد: (من الطويل):

متى وعسى يَثْني الزمانُ عِنَانَه بعَثْرَة حالٍ والزَمانُ عثُورُ
فتُدْرَك آمال وتُقْضَى مآرِبٌ وتحدُث من بعد الأُمور أُمور(٩)

وكَلا، فما على الدهر عَتْب، ولا له على أهْلِه ذَنْب؛ وإنما هي أقدار تَجْري كما شاء

---

(١) زهر الآداب: ١٣٣/٤ . دَرْج الغُرر: ص ٦٩. الصرائم: جمع الصريمة، وهي العزيمة. الصوارم: جمع الصارم: وهو السيف القاطع.
(٢) زهر الآداب : ٢/ ٢٣٨ . دَرْج الغُرر: ص ٧٣.
(٣) زهر الآداب: ١٣٣/٤ . دَرْج الغُرر: ص ٦٩.
(٤) دَرْج الغُرر: ص ٦٩.
(٥) تاريخ العتبي: ص٢٦٥، وبعضه في يتيمة الدهر:٤١٦/٤ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٦) تاريخ العتبي: ص ٢٦٥، وبعضه في يتيمة الدهر: ٤١٧/٤.
(٧) دَرْج الغُرر: ص ٨٠.
(٨) زهر الآداب : ٢/ ٢٣٨ . دَرْج الغُرر: ص ٧٤.
(٩) قالهما الفضل بن الربيع مع اختلاف في الرواية. ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق: د. إحسان عباس ٣٨/٤ ، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م.

مُجْرِيها، وتَنْفُذ كالسهام إلى مَرَاميها؛ فهي تدورُ بالمكروه والمحبوب، على الحُكم المقدور والمكتوب، لا على شهوات النفوس وإرادات القلوب؛ وإذا أراد الله تعالى أذن في تقريب البعيد النازح، وتسهيل الصَّعب الجامح، فيعود الأُنسُ بلقائِك الإخوان كأتمّ ما لم يزل معهودا، ويجدّد للمذاكرة والمؤانسة رسوما وعهودا، إنه الملبي به، والقادِرُ عليه"(١).

وله فصل:"(إنما أَشكو إليك زمانا سَلَب ضِعْفَ ما وَهب، وفَجع بأكثَرَ مما أَمْتَع، وأوحش فوق ما آنس، وعنف في نزعِ ما ألبس)(٢)؛ فإنه لم يُذِقْنَا حلاوة الاجتماع، حتى جَرَّعَنا مرارةَ الفراق، ولم يمتعنا بأنس الالتقاء، حتى غادَرَنا رَهْنَ التلهُّفِ والاشتياق، والحمدُ لله تعالى على كلّ حال يُسيء ويسر، ويَحْلو ويُمر، (ولا أَيأس من رَوْح الله في إباحة صُنْع يجعل رَبْعَه مُنَاخي، ويُقَصِّر مدّةَ البِعَاد والتراخي)(٣)، فأُلاحظ الزمانَ بعين راض، ويُقْبِلُ إليّ حظّي بعد إعراض، وأستأنف بعزَّته عيشا سابغَ الذيول والأعطاف، رقيقَ المعانِي والأوصاف، عَذْب المواردِ والمناهل، مأمونَ الآفاتِ والغوائل"(٤).

خامسا – ما ورد في التهنئة.

وله إلى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم: "(كتبت وأنا بمنزلة من ارتدَّ إليه شبابُه بعد المشيب، وارتدى بردَاء مِنَ العمر قَشِيب)(٥)، والحمد للّه رب العالمين، وصل كتابُ مولاي مبشِّرا من خبر عَوْده إلى مقرَ عزّه وشَرَفه، محروسا في حفظ اللّه وكَنَفه، بما لم تزل الآمال تتنسَّم روائحه، وتترقّب غاديَ صُنْع اللّه فيه ورائحَه، واثقةً بأنّ عادةَ اللّه الكريمة عنده تُسَايره وتُرافقه، وتلزم جنابه فلا تُفارِقه، حتى تْخرجَه من غَمْرة الغَماء خروجَ السيف من الغِمْدِ، والبدر بعد السِّرَار إلى الانجلاء، فعددْتُ يوم وُرودِهِ عيدا، أعاد عهد السُّرور جَدِيدا، وردَ طَرْفَ الحسود كليلا وقد كان حَدِيدا، ولم أُشَبِّهْهُ في إهداء الرَّوح والشفاء، وتلافي الرُّوح بعد أن أشْفَى على المكروه كل الإشفاء إلا بقميص يوسف حين تلقّاه يعقوبُ عليه السلام من البشير، وألقاه على وجهه فنظر بعَيْنِ البصير، فكم أوسعتُه لثما واستلاما، والتقطت منه بَرْدا وسلاما، حتى لم تبق غُلَّة في الصدر إلاَّ بَرَدْتُهَا، ولا غُمّة في النفس إلاَ طَرَدْتها، ولا شريعة من الأنس إلاَّ وردْتها"(٦).

---

(١) زهر الآداب: ٢/٢٣٦، ٢٣٧. دَرْج الغُرر: ص٦٥، ٦٦.

(٢) ما بين القوسين في مخزون البلاغة ص١٣٠.

(٣) ما بين القوسين ورد في مخزون البلاغة ص١٣٠. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) زهر الآداب: ٤/١٣٤. دَرْج الغُرر: ٧٠، ٧١. ربعه مناخي: المناخ: موضع الإناخة، وأراد بها الإقامة. الغوائل: جمع الغائلة، وهي الداهية. أو الفساد والشر.

(٥) ما بين القوسين ورد في مخزون البلاغة ص ٣٩٦. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٦) زهر الآداب: ١/١٦٥، ١٦٦. دَرْج الغُرر: ص٦٤. البدر بعد السِّرَار: السرار آخر ليلة من الشهر، ولا يظهر فيها القمر.

سادسا- ما ورد في التعزية.

فصل "لئن كانت الرزيَّة بِمُضِيِّهِ ممضةٌ مُؤلمة، وطُرُقُ العزاء والسَّلْوة متّهمة، لقد حلَّت بساحةِ من لا تُنتقَضُ بأمثالها مرَائِرُه، ولا تَضْعُفُ عن احتمالها بصائِرُه، بل يتلقّاها بصَدرٍ فسيح يَحْمي أن يَفْتَحَ الحزنُ بابه، وصبرٍ مشيح يحمي أن يُحْبطَ الجزعُ أجره وثوابَه، ولم لا وآدابُ الدينِ من عنده تُلتمس، وأحكامُ الشرع من بَنَانِه ولسانه تستفاد وتُقْتبس؟ والعيونُ ترمُقُه في هذه الحال لتجريَ على سَنَنه، وتأخذَ بآدابه وسُننه، فإن تَعَزَّت القلوب فبحُسْنِ تماسكه عزاؤها، وإن حسُنَت الأفعال فإلى حميدِ أفعاله ومذاهبه اعتزاؤُها"(١).

وله: "قدَس الله رُوحَه، وسقى ضريحه؛ فلقد عاش نبيه الذكْر، جليلَ القَدْرِ، عَبِقَ الثناء والنَشْر، يتجمل به أهل بلده، ويتباهَى بمكانه ذوو مودَّتِه، ويفتخر الأثَرُ وحاملوه بتراخي بقائه ومُدَّتِه، حتى إذا تسنَّم ذِرْوَة الفضائل والمناقب، وظهرت محاسنُه كالنجوم الثواقب، اختطفته يد المِقْدَار، ومُحِيَ أثره بين الآثار، فالفضل خاشعُ الطَّرْفِ لفَقْدِه، والكَرَمُ خالي الرَّبْع من بعده، والحديثُ يندبُ حَافِظَه ودَارِسَه، وحُسْنُ العهد يبكي كافله وحارسه"(٢).

(ومن الفصول القصار في هذا الباب):(نار الحسرة تقدح في القلب، فتحرق وتسوي، ويد اللوعة ترمي حميمها بنوافذ السهام، فتصيب ولا تشوي)(٣).(الموت منهل مورود، وسيان فيه والد ومولود).(أعوذ بالله من كل ما يؤدي إلى موارط نقمته، ويحجب عن موارد رحمته).(مصيبة طرقت بالمخاوف والأوجال، وطرقت شرب الأماني والآمال، وأعادت سرب العيش نافرا، ووجه الحزن سافرا).(وفقه الله للصبر الذي إليه يرجع الجازع، وإن أغرق في قوسه النازع).(طال تلهفي على هلال استسر قبل أن يقمر، وغصن خضد قبل أن يثمر)(٤).(شابت بعده لمم الأقلام، وضلت مفاتيح الكلام، ونضبت غدر الأفهام).(لا أملك في مصيبته إلا عبرات ترق ولا ترقأ، وزفرات تهد ولا تهدأ).(قد نغص الموت كل طيب، وأعيا داؤه كل طبيب)(٥).

سابعا- فصول قصار في العيادة:

(أما علته فقد أرتني الفضل ترجف أحشاؤه فرقا، والصبر تنقطع أجزاؤه فرقا).(كأني به وقد طلع كالحسام مجردا، والهلال مجددا). (صادفني كتابه وفيه علة أجحفت بالجسد، وتحيفت جوانب الصبر والجلد، واستأنفت به برد الحياة، ولبست عنه برد المعافاة). (كان من العلة بين أنياب وأظفار، ومن الردى على شفا جرف هار، فتداركه الله برحمة رشت على سقمه ماء الشفاء، ومجت برد العافية في حر الأحشاء)(٦).

---

(١) دَرْج الغرر: ص٧٦. وفيه (من كتاب تعزية عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب الصعلوكي). زَهر الآداب: ٢٥٧/٤، ٢٥٨، ١٣٥. وبعضه في سفينة الصالحي٧٣٧/٢.

(٢) زهر الآداب: ٢٥٨/٤ . دَرْج الغُرر: ص ٧٧. وفيه (من تعزية عن أبي عمرو البحتري). سفينة الصالحي٧٣٧/٢.

(٣) درج الغرر : ص ٧٦ .

(٤) يتيمة الدهر: ٤٢٣/٤.

(٥) السابق: ٤٢٤/٤ .

(٦) يتيمة الدهر: ٤٢٢/٤ . إحكام صنعة الكلام ص ١٣٣. جمهرة الإسلام: ١٠٤٧/٢.

ثامنا- فصول قصار في السلطانيات والفتوح.

(لا يقف لمناجزته عدو إلا عاد موطئ قدمه شفيرا، وكان سهم الردى إليه سفيرا).(بين ضرب يصدع جنوبا، وطعن يدع الصدور جيوبا)(١).(أصبحوا كغثاء احتمله ظهر سيل جارف، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف).(لما مشى إليهم مشت قلوبهم في الصدور، وحلت بهم قاصمة الظهور، فهم بين أعمار تباح، ودماء تساح، وأجسام تطاح، وأرواح تسفى بها الرياح(٢).(ولى المغرور يرسف من الرعب في حلق، ويجري مع الريح في طلق)(٣).

تاسعا- في الآداب والمواعظ وأوصاف شتى

(الأدب زين وجمال، إن تطعمت به نفع، وإن ترويت به نقع، وإن تعطرت به سطع، وإن تحليت به لمع).(خير الكلام ما كان لفظه فحلا، ومعناه بكرا).(القلم أحسن مطية تمشي براكبها رهوا، وتكسوا الأنامل زهوا)(٤).(لهفي على دهر الحداثة إذ غُصْنُ شبابي غضٌ وَرِيق، ونَقْلُ شرابي عضٌ ورِيق)(٥).(من تسود قبل وقته وآلته، فقد تعرَّض لِمَقْتِه وإذالته:(من مجزوء الرمل):

إن مَـــنْ يلـــتمس الـــصدْ رَ بـــــلا وَقْـــــتِ وآلَـــــهْ
لحقيـــــــق أنْ يُلَقَّـــــــى كـــــل مَقْـــــتٍ وإذَالـــــهْ

(أقبل السيل ينحدر انحدارا، أو يحمل أشجارا وأحجارا، حتى كأنه به جنة، أو كأن في أحشائه أجنة)(٦).(لله ألطاف تنتصر من الباغي، وتقضي بنيْل المَبَاغِي).(كم بين من حالفَ الشيطان فاعتصم بحبله، وبين من خالفه فاعتصم من ختله).(رب لاغ في بلاغ)(٧).(أين المهاوي من المراقي، والأقدام من التراقي).(الدنيا قنطرةٌ لمن عبر،عبرةٌ لمن استبصر واعتبر)(٨). وقال في المرأة:(إذا أحصنت فرجها فقد أحسنت فارجها).(أنت إذا مزحت أزحت كربا، وإذا جددت جدَّدت أنسا، وإذا أوجزت أعجزت، وإذا أطنبت أطربت)(٩).(لست مني بوائل، ولو كنت كليب وائل)(١٠).

---

(١) يتيمة الدهر: ٤/٤٢٠، ٤٢١ .
(٢) السابق: ٤/٤٢٥. تاريخ العتبي: ص ٢٦٥. مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٣) تاريخ العتبي: ص ٢٦٥.
(٤)الإعجاز والإيجاز للثعالبي، شرح: اسكندر أصاف ص١١٩، المطبعة العمومية بمصر، الأولى ١٨٩٧م. خاص الخاص ص ٣٣.
(٥)دَرْج الغُرر: ص ٧٥ . زهر الآداب: ٢/ ٢٣٨ . تاريخ العتبي: ص ٢٦٥.
(٦) دَرْج الغُرر: ص ٧٨.
(٧)الإعجاز والإيجاز: ص١١٩، خاص الخاص ص ٣٣.
(٨) سحر البلاغة: ص١٩٦، ١٩٧.
(٩) خاص الخاص: ص ٣٣.
(١٠) ثمار القلوب: ص ٨٩.

فهرس المصادر والمراجع

- أحسن ما سمعت للثعالبي، وضع حواشيه:خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس: ابن عبد الغفور الكلاعي، تحقيق: د.محمد رضوان الداية،عالم الكتب، بيروت، الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الإعجاز والإيجاز للثعالبي، شرح: اسكندر أصاف، المطبعة العمومية بمصر، الأولى ١٨٩٧م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، (ج١١) تحقيق: د. إحسان عباس، د.إبراهيم السعافين، أ. بكر عباس، دار صادر، بيروت ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، (س الذخائر٨٣)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٢م.
- الأنساب لأبي سعد عبد الكريم السمعاني، تحقيق: عبد الله البارودي، دار الجنان، بيروت،الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- بلاغة الكتاب في القرن الرابع الهجري: دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب، د. محمد نبيه حجاب، القاهرة، الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- تاريخ العتبي: أبو نصر العتبي، تحقيق: د. إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري، دار الطليعة، بيروت، الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا: محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، طبع نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٣م.
- التمثيل والمحاضرة للثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، بيروت ١٩٩٣م.
- ثمار القلوب للثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق:د. مصطفى جواد، د.جميل سعيد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، العراق ١٣٥٧هـ - ١٩٥٦م.
- جمهرةُ الإسلام ذاتُ النثر والنظام لأبي الغنايم مسلم بن محمود الشَّيزري(ت بعد ٦٢٢هـ)، تحقيق: د.محمد إبراهيم حُوَّر، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- خاص الخاص للثعالبي، شرح: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- دَرْجُ الغُرر ودُرْج الدُّرَر: عمر بن علي المطوعي، تحقيق: د.جليل العطية، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر: علي بن الحسن الباخرزي، تحقيق: سامي مكي العاني، مكتبة دار العروبة، الكويت، الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .
- دمية القصر وعصرة أهل العصر: علي بن الحسن الباخرزي، تحقيق: محمد ألتونجي، دار الجيل، بيروت، الأولى ١٤٤١هـ-١٩٩٣م.

- ديوان ابن نباته المصري ص٤٢٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، بنان بدون.
- ديوان الببغاء(عبد الواحد بن نصر المخزومي)، بتحقيق ودراسة: سعود محمد عبد الجابر، دار الحامد، عمان، الأولى ٢٠٠٤م.
- ديوان الراعي النميري، شرح: د. واضح الصمد، دار الجيل، بيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- ديوان الصادح والباغم لابن الهبارية، شرح عزت العطار، القاهرة ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.
- ديوان بشار بن برد، شرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- ديوان الميكالي(عبيد الله بن أحمد بن علي)، جمع وتحقيق: جليل العطية، نشر عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- ديوان الهذليين، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة، الثانية ١٩٩٥م.
- الرسائل الأدبية النثرية في القرن الرابع للهجرة، د.غانم جواد رضا، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى ٢٠٠١م.
- رسائل القاضي الفاضل دراسة تحليلية: د.محمد عبد الرحمن عطا الله، دار الحضارة، طنطا ٢٠٠٠م.
- زهر الآداب وثمر الألباب: الحصري القيرواني، تحقيق د.صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيد، بيروت، الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م
- زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي، تحقيق: د.محمد حجي، د.محمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي، شرح: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.
- سفينة الصالحي: شمس الدين الصالحي(ت١٠١٢هـ)الهيئة المصرية العامة للكتاب،(س التراث) القاهرة ٢٠١٥م.
- سنن الترمذي(الجامع الصحيح):(محمد بن عيسى بن سوْرة): تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، طبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الثانية ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.
- شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق:د. سامي الدهان،(س ذخائر العرب)، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.
- شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: د.إحسان عباس، وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٢م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٠هـ-١٩٢٢م.
- صحيح البخاري(الجامع الصحيح) محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، الأولى ١٤٠٠هـ.

- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين وزميله، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، القاهرة، الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق:د.عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- فقه اللغة وأسرار العربية: الثعالبي، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، الثانية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
- فن الشعر: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م.
- فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٧٣م.
- القانون في ديوان الرسائل: علي بن منجب الصيرفي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر): أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.
- لسان العرب: جمال الدين بن منظور، دار المعارف، القاهرة ، بدون.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق:د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٣م.
- مخزون البلاغة (المخزون والدر المنظوم واللفظ المعدوم)لأبي الفضل الميكالي،(وهو فصوص الفصول المستخرجة من رسائله)، تحقيق: د/عبد الرازق حويزي، نشر دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- معجم الشعراء لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق:عبد الستار أحمد فراج،(س الذخائر)،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م.
- من حديث المعارضات الأدبية: د.عبد الوارث الحداد، مطبعة السعادة، القاهرة، الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
- المنتحل للثعالبي، تحقيق: أحمد أبو علي، المطبعة التجارية بالإسكندرية ١٩٠١م.
- مواد البيان: علي بن خلف الكاتب، تحقيق: د. حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس ١٩٨٢م.
- النثر الفني في القرن الرابع الهجري: د. زكي مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق: د. إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي: تحقيق: د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

Index of sources and references

- **Best of what I heard by Al-Tha'albi, he wrote his footnotes: Khalil Omran Al-Mansour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut 2000-1421 A.D.**
- **The refinement of speech in the arts of prose and its doctrines in the East and Andalusia: Ibn Abd al-Ghafoor al-Kalai, edited by: Dr. Muhammad Radwan Al-Daya, The World of Books, Beirut, the second 1405 AH - 1985 AD.**
- **Miracles and brevity by al-Tha'alabi, Explanation: Iskandar Asaf, The Public Press in Egypt, The First 1897 CE.Al-Aghani by Abi Al-Faraj Al-Isfahani, (c11). Edited by: Dr. Ihsan Abbas, Dr. Ibrahim Al-Saafin, Prof. Bakr Abbas, Dar Sader, Beirut 1429 AH -2008 AD.**
- **Amusement and Sociability by Abu Hayyan Al-Tawhidi: Edited by: Ahmed Amin and Ahmed Al-Zein, (Q Ammunition 83), General Authority for Cultural Palaces, Cairo 2002.**
- **Genealogies of Abu Saad Abdul Karim Al-Samani, verified by: Abdullah Al-Baroudi, Dar Al-Jinan, Beirut, the first 1408 AH - 1988 AD.**
- **The History of Al-Atabi: Abu Nasr Al-Atbi, investigated by: Dr. Ihssan Thanoun Abd al-Latif al-Thamri, Dar al-Tali'a, Beirut, The First, 1424 AH - 2004 AD.**
- **Condolences, elegies, sermons and wills: Muhammad bin Yazid al-Mabrad, edited by: Ibrahim Muhammad**
- **Hassan El-Gamal, Nahdet Misr printed, Cairo 1993.**
- **Representation and lecture by Thaalabi, edited by: Abdel-Fattah Al-Helou, Arab Book House, Beirut, 1993.**
- **Fruits of hearts by al-Tha'alabi, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Modern Library, Saida, Beirut, 1424 AH -2003 CE.**
- **The Great Mosque in the Making of the Mathematician from Speech and Sentinel: Diaa al-Din Ibn al-Atheer, edited by: Dr. Mustafa Jawad, Dr. Jamil Saeed, Publications of the Iraqi Scientific Academy, Iraq 1357 AH - 1956 CE.**
- **The community of Islam with prose and order by Abu Al-Ghanayem Muslim bin Mahmoud Al-Shaizari (d. After 622 AH), investigated by: Dr. Muhammad Ibrahim Hawar, The Cultural Foundation, Abu Dhabi, United Arab Emirates 1426 AH -2005 AD.**
- **Al-Khas al-Thaalabi, explained by: Mamoun bin Muhyiddin Al-Jinan, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut 1414 AH -1994 AD**
- **Darj al-Ghurar and Dirj al-Durar: Omar bin Ali Al-Mutawa, edited by: Dr. Jalil Al-Attiyah, The World of Books, Beirut 1406 AH -1986 AD.**
- **The Puppet of the Palace and the Age of the People of the Age: Ali bin Al-Hassan Al-Bakhrizi, Edited by: Sami Makki Al-Ani, Dar Al-Orouba Library, Kuwait, the second 1405 AH - 1985 AD.**
- **The Puppet of the Palace and the Age of the People of the Age: Ali Ibn Al-Hassan Al-Bakhrizi, Edited by: Muhammad Al-Tunji, Dar Al-Jeel, Beirut, Al-Awwalah, 1441 AH -1993 AD.**

- **Ibn Nabatah Al-Masry Diwan, p. 429, House of Revival of the Arab Heritage, Beirut, Banan Bidoun.**
- **The Parrot's Office (Abd al-Wahid bin Nasr al-Makhzoumi), with an investigation and study: Saud Muhammad Abdul-Jaber, Dar Al-Hamid, Amman, I, 2004.**
- **Shepherd's Diwan al-Nimeiri, explained by: Wahid Al-Samad, Dar Al-Jeel, Beirut 1416 A.H. -1995 A.D.**
- **The Divan of Al-Sadih and Al-Baghim by Ibn Al-Habaria, Explained by Izzat Al-Attar, Cairo 1355-1936 AD.**
- **The Court of Bashar Bin Barad, Explained by Sheikh Muhammad Al-Taher Bin Ashour, Committee of Authorship, Translation and Publication in Cairo 1386 AH - 1966 AD**
- **Al-Mikali Diwan (Ubayd Allah bin Ahmed bin Ali), collection and investigation: Jalil Al-Attiyah, Alam Al-Kutub published, Beirut, the first 1405 AH - 1985 AD.**
- **Al-Hudhalin Diwan, Egyptian Book House, Cairo, the second edition, 1995.**
- **The prose literary messages in the fourth century of the Hijra, by Dr. Ghanem Jawad Reda, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Lebanon, the first, 2001 AD.The letters of the virtuous judge, an analytical study: Dr. Muhammad Abd al-Rahman Atallah, Dar al-Hadara, Tanta, 2000 AD.**
- **The flower of manners and the fruit of hearts: Al-Husari Al-Qayrawani, edited by Dr. Salah Al-Din Al-Hawari, Al-Asriyya Library, Said, Beirut, Al-Awal 1421 AH-2001**
- **Zahr Al-Akam in Proverbs and Ruling by Al-Hassan Al-Yousi, edited by: Dr. Muhammad Hajji, Dr. Muhammad Al-Akhdar, House of Culture, Morocco, the first 1401 AH -1981 AD.**
- **Sahar al-Balaghah and the secret of ingenuity by al-Tha'alabi, explained by: Abd al-Salam al-Hofi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, without**
- **Sunan al-Tirmidhi (al-Jami al-Sahih): Muhammad ibn Issa ibn Surah: Edited by: Ibrahim Atwa Awad, printed by Issa al-Babi al-Halabi, Cairo, second from 1382 AH-1962 CE.**
- **Explanation of Diwan Sari al-Ghawani, ed. Sami Al-Dahan, (Q Arab Ammunition), Dar Al-Ma'arif, Cairo 1985 AD**
- **Explanation of the Office of al-Mutanabi: Abd al- Rahman al-Barquqi, House of the Arab Book, Beirut 1407 AH -1986 AD**
- **Explanation of the poetry of Lubaid bin Rabi'a al-Amiri, edited by: Dr. Ihssan Abbas, Ministry of Guidance, Kuwait, 1962 AD. .**
- **Subuh Al-Asha in the construction of Al-Qalqshendi, Egyptian Book House, Cairo 1340-1922 AD.**
- **Sahih Al-Bukhari (Al-Jami Al-Sahih) Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, edited by: Moheb Al-Din Al-Khatib, Al-Salafiya Press, Cairo, Al-Awal 1400 AH.**
- **The Unique Decade of Ibn Abd Rabbo Al-Andalusi, verified by Ahmed Amin and his colleague, The General Authority for Cultural Palaces, Cairo 2004.**

- **Al-Umda in the Beauties of Poetry, Literature and Criticism of Ibn Rashiq, Edited by: Muhammad Mohi El-Din Abdel-Hamid, Dar Al-Jeel, Cairo, Fifth, 1401 AH - 1981 AD.**
- **The caliber of poetry: Ibn Tabataba Al-Alawi, edited by: Dr. Abdulaziz bin Nasser Al-Mani, Dar Al-Uloom for Printing and Publishing, Riyadh, Saudi Arabia 1405 AH - 1985 AD.**
- **Philology and the Secrets of Arabic: Al-Thaalabi, edited by: Yassin Al-Ayoubi, Modern Library, Beirut, Al-Thanya, 1420 AH - 2000 AD**
- **The Art of Poetry: Dr. Ihssan Abbas, Sader House, Beirut 1996.**
- **The death of the deaths, Ibn Shaker Al-Ketbi, investigation by: Dr. Ihssan Abbas, Dar Sader Beirut 1973 AD.**
- **Law in the Diwan of Messages: Ali bin Munjib Al-Sayrafi (d.542 AH), investigated by: Dr. Ayman Fouad Sayed, The Egyptian Lebanese House, Cairo 1990 A.D.**
- **The two industries book (writing and poetry): Abu Hilal al-Askari, edited by: Ali Muhammad al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Issa al-Babi al-Halabi, Cairo 1371 AH - 1952 CE.**
- **Lisan al-Arab: Jamal al-Din Ibn Manzur, Dar al-Maarif, Cairo, without.**
- **The proverb in the literature of the writer and poet: Ziauddin Ibn Al-Atheer, edited by: Dr. Ahmed Al-Hofi, Dr. Badawi Tabbaneh, Nahdet Misr Library, Cairo 1973.**
- **Makhzoon Al-Balaghah (The inventory, the vowel and the vowel, and the missing word) by Abu al-Fadl al-Mikali, (which is the chapters of the chapters extracted from his letters), edited by: Dr. Abdel-Razek Huwaizi, Publishing House of National Books and Archives, Heritage Verification Center, Cairo 1441 AH -2020 AD.**
- **The Dictionary of Poets by Abu Ubaid Allah Muhammad Ibn Imran Al-Marzabani, edited by: Abd Al-Sattar Ahmed Farraj, (Q Ammunition), the General Authority for Cultural Palaces, Cairo 2003.**
- **From the conversation of literary opposition: Dr. Abdel-Warith Al-Haddad, Al-Saada Press, Cairo, the first 1407 AH - 1986 AD.**
- **The Impostor by Al-Thaalabi, edited by: Ahmed Abu Ali, The Commercial Printing House in Alexandria, 1901 AD.**
- **Statement materials: Ali bin Khalaf al-Katib, investigation by: Dr. Hussein Abdul Latif, Al-Fateh University Publications, Tripoli 1982.**
- **Artistic prose in the fourth century AH: Dr. Zaki Mubarak, Egyptian General Book Authority, Cairo 2010.**
- **The deaths of notables and the news of the sons of time by Ibn Khallikan. Investigation: Dr. Ihssan Abbas, House of Culture, Beirut, 1968.**
- **The orphan of time in the merits of the people of the age: Abu Mansour al-Tha'alabi: investigation by: Dr. Mofid Qumaiha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, the first.**

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة.	١٤١
تمهيد:	١٤٣
أولا- الميكالي ومكانته الأدبية.	١٤٣
ثانيا- رسائله.	١٤٤
الفصل الأول: المضمون النثري	١٤٥-١٥٩
أولا- وصف الكتب والرسائل الواردة إليه.	١٤٥
ثانيا- أحاديث الود والصداقة والشوق والحنين.	١٤٧
ثالثا- الثناء والشكر.	١٤٨
رابعا- الشكوى وذم الزمان.	١٥٠
خامسا- التهنئة .	١٥٢
سادسا- التعزية.	١٥٤
سابعا- الهجاء والذم.	١٥٦
ثامنا- عيادة المريض.	١٥٧
تاسعا- العتاب واللوم والاعتذار.	١٥٨
عاشرا- في الفتوح ووصف المعارك.	١٥٩
الفصل الثاني: البناء الفني	١٦٠-١٦٤
أولا- البدء.	١٦٠
ثانيا- الانتقال.	١٦٢
ثالثا- الختام.	١٦٣
الفصل الثالث: ظواهر فنية	١٦٥-١٧٥
أولا- القرآن الكريم.	١٦٥
ثانيا- توشيح الرسالة بالشعر.	١٦٧
ثالثا- حل المنظوم.	١٦٨
رابعا- توظيف الشخصية التراثية.	١٧٠
خامسا- الترادف	١٧١
سادسا- التشخيص والتجسيد.	١٧٢
سابعا- الألوان البديعية.	١٧٣
خاتمة .	١٧٦
ما بقي من رسائل الميكالي(جمع وتوثيق)	١٧٧-١٨٥
أولا- في وصف الكتب والرسائل الواردة إليه.	١٧٧
ثانيا- ما جاء في الود والشوق والحنين.	١٧٩
ثالثا- ما جاء في الثناء والشكر.	١٨١
رابعا- ما جاء في الشكوى وذم الزمان.	١٨٢
خامسا – ما ورد في التهنئة.	١٨٣
سادسا- ما ورد في التعزية.	١٨٤
سابعا- فصول قصار في العيادة.	١٨٤
ثامنا- فصول قصار في السلطانيات والفتوح.	١٨٥
تاسعا- في الآداب والمواعظ وأوصاف شتى.	١٨٥
فهرس المراجع.	١٨٦
فهرس الموضوعات.	١٩٢